يتركب من الجص الاصفر الناتج وبعضهُ عسلي اللون ومنهُ ابيض يَقق ذو عروق عجيبة التصاوير كان يتّخذ لزينة اجمل اجزاء الابنية . ومنهُ ما كان يُستعمل للتماثيل والدُمى وكان هذا الرخام يُنقل الى بلاد بعيدة وقد وُجد منهُ حتى في واحات عثون بين الاخربة

وتُرى حتى اليوم مقالع أُخرى جنوبيّ أنطينوه (شيخ عبادي) قريباً من دير ابي حنس كان المصريون يستخدمون حجارتها في عهد امينوفيس الثالث أيام الدولة الثامنة عشرة . وكذلك مقالع القُصير ومقالع جبل قرنة استمدَّ الفرعون ساتوس الثاني من موادّها في زمن الدولة التاسعة عشرة . ومقالع رحينة المشهورة بحجرها الكلسيّ الصلب

ومن فحص موادّ هيكل ساتوس الاوّل (من الدولة التاسعة عشرة) في ابيدوس وهو هيكل ممنون الذي وصفهُ الجغرافي اسطرابون وجد انّ حجارتهُ منقولة من مقطع جبات حيث تُقرأ كتابة لآخر فراعنة مصر الملك نكتانيبوس وفي أيامهِ أُهملت هذه المقالع . والهيكل المذكور مبنيّ في اسفلهِ بالحجر الكلسي الاصمّ وفي اقسامهِ المنقوشة ترى حجرهُ من الجص الناعم

أمّا مقالع الحجر الرمليّ فتبتدئ جنوبيّ اسنا عند الحاوي . واكثر الابنية العظمى التي شيّدها اصحاب المملكة الحديثة انّما اخذوها من جبل السلسلة ومن الصخور التي تُشرف على النيل وتضيّق مسيلهُ . وهناك كان يشتغل عملة الملك امينوفيس الثالث فاقتلعوا لهُ حجارًا للهيكل الذي ابتناهُ في القصور وكذلك ساتوس الاوّل لمبانيهِ في الكرنك ورعمسيس الثاني لابنيتهِ العديدة في الكرنك والاقصر وابيدوس ومنف . ومن الكتابات الباقية ثمّ حتى اليوم كتابة لامينوفيس الثالث تذكر نقل حجارة على النيل لابتناء هيكل الاله فتاح وتفيدنا كتابة أُخرى لامينوفيس الرابع انّ هذا الفرعون امر بنحت مسلّة ضخمة اعدّها لهيكل الشمس في الكرنك

ومن اعتبر بقايا هذه المقالع اخذهُ العجب ممّا كان عليهِ قدماء المصريين من النشاط والهمّة

وبازاء قرية القبانيّة في جبل الحمّام تُرى حتى عهدنا مقالع الحجر الرمليّ التي اتّخذت منها الملكة «ماكري» في غرّة المملكة الحديثة موادّ هيكل أمبوس

وجنوبيّ هذا الجبل قرب العطارة تبتدئ مقالع الصوّان المحبّب . واعظمها ليس بعيدًا عن مدينة اسوان التي يعرفها اليونان باسم «سيان» وقدماء المصريين باسم

« بيو » . ولهذه المقالع شهرة كبرى اتخذ منها البناة حجارهم منذ زمن الاهرام الى عهد الرومان

وعلى مسافة ربع الساعة من اسوان الحالية المقالع الشمالية يُشاهد فيها الناظر قطعًا عاتية من الصوان جانب منها منفرد وجانب متراكم بعضهُ فوق البعض . منها قطعة طولها ٢٨ مترًا في عرض ثلاثة امتار و ٣٥ سنتيمترًا في اسنانها . والظاهر انَّ اصحابها اختاروها لينحتوها على شبه مسلَّة

امَّا المقلع الجنوبيّ فعلى بُعد نصف الساعة جنوبًا بقي فيهِ حتى اليوم قطعٌ كاد نحتها ينجز وفي جملتها ناوسان وتمثالان عظيمان احدهما لبعض الملوك والآخر للاله اوزيريس . وقد رقم امينوفيس الثالث على صخر هناك كتابةً فيها شعارهُ

واسم الصوَّان يقال لهُ في اليونانيَّة « سيأن Syène » اشتقاقًا من اسم مدينة اسوان وشاع هذا الاسم منذ عهد الكاتب بلينيوس الطبيعي . وأُطلق على هذا الحجر وحدهُ حتى قام فرنز الجيولوجيُّ الالمانيُّ فارتأى انَّ مقالع بلدة بلانن في جوار درسد قريبًا من عاصمة سكسونيا تشبهُ مقالع اسوان فدعا حجارتها ايضًا صوَّانًا وبقي هذا الاسم يشمل حجر البلدين الى ان تعرَّض لهُ عالمٌ آخر اسمهُ واد (Wad) فاثبت انَّ بين الحجرين اختلافًا غير يسير اذا انهُ يدخل في حجر بلانن قسمٌ صالح من مركَّب الأمفيبول (amphibole) وهو قليل جدًّا في حجر اسوان فعاد العلماء الى الافراز بينهما وخصَّصوا بحجر مصر اسم « السيأني » او « الصوَّان »

وقد وصف العلَّامة هرتمان صوَّان مصر قال انَّ لونهُ ضارب الى حمرةٍ لما يدخل في تركيبهِ من الارثوكلاز (orthoclase) الناصع الحمرة وهو يحتوي كثيرًا من الكوارتز الشفَّاف ومن الميكا الاصفر الذهبيّ او الاسمر المحمر او المسودّ . والامفيبول فيهِ قليل . وبعض ركازهِ تتركب من حبوب ناعمة متكاثفة يدخل في تركيبها الفلدسپات الحمر بنسبةٍ عظيمة مع شيء من الكوارتز وقليل من الميكا . ومن هذه المقالع ما تراهُ غنيًّا بالميكا الاسود والاوليغوكلاز (oligoclase) المخضر . ومنها اخيرًا ما يكون فيها جسمٌ فلزّيّ اخضر قاتم يدخلهُ كثير من الرخام الابيض وقليل من الامفيبول

ومن غريب ما يُشاهد في الكرنك تمثال عظيم ترى اعلاهُ منحوتًا في عرقٍ محبَّب من الميكا ذي لون أكهب امَّا قمَّة رأسهِ مع القلنسوة التي تعلوهُ فمنحوتة في عرق صلب

من الفلدسپاث الصافي المكتتر فينتج عن تفاوُت اللونين منظر بديع (١

وقد اتى النيل عند بلوغهِ هذا الحدّ حاجزًا من هذا الصوّان فخرقهُ بعد العناء الكثير وجرى في مضيق يُعرف بالشلّالات الاولى لتحدُّرهِ من فوق الصخور

ومن مقالع اسوان المذكورة قد نُزعت صفائح الحجارة التي بها فُرش جانب من اعطاف هرمَي الجيزة وهما الثاني والثالث وكذلك نوافذ الدهاليز الموصلة الى مدافن الفراعنة وحجارة هيكل سوكاريس اوزيريس المشيَّد امام ابي الهول وحجارة السيرابيوم في سويس وابدع المسلّات واعظمها كمسلّات عين شمس التي لم يسلم منها غير واحدة في قرية المطريَّة وكمسلّات رعمسيس الثاني في ثبة نُقلت احداها الى باريس فزُيّنت بها ساحة الكُنكرد ومسلّات الملكة ماكري التي تُرى في ثبة ايضًا في المعهد الاوسط من هيكل آمون وآخرًا مسلّتي كليوبترة كانتا سابقًا في الاسكندريَّة وسيأتي الكلام عنهما

واعلم ان المصريين الاقدمين لم يجعلوا مقالعهم على ضفَّتي النيل فقط بل اقتلعوا كثيرًا من حجارتهم لابنيتهم الفخيمة من الصخور المتسلسلة القائمة بازاء بحر القلزم على خطّ موازٍ لهُ وهي تحتوي حجارة باورَّية غاية في الحسن

اما الطريق المؤدية الى مقالع هذه السلسلة الطرفية فكان ممرُّها من مدينة قفط جنوبيّ قنا ثم تجتاز بوادي حمّامات الحالي ووادٍ آخر كان القدماء يدعونهُ روحانو. وكانت القوافل تقطع هذه الطرق ذهابًا وايابًا فتسير الى مرافئ بحر القلزم وبلاد بُنت الشهيرة بأبزارها وحبوبها. وكانت فئات من العَمَلة يجرون ايضًا عليها سائرين الى المقالع المنوَّه بها تحت حراسة شرذام من العسكر كانوا يردُّون عنهم غارات اهل البادية

واقدم اثر بقي من مرور العملة في هذه المقالع يرتقي الى عهد الملك اسّ (Esse) من فراعنة الدولة الخامسة. قال العلّامة إبرس (٢: وفي وادي روحانو كتابات عديدة مختلفة الاتقان حُفرت على الصخور المشرفة على الطريق تفيد السابلة عمّا اصطنعهُ

---

١) راجع الجزء من كتاب وصف مصر ,Description de l'Egypte ; Antiquités T. I, App. 1 n° 1.

٢) راجع ترجمة كتابهِ المُعَنون «مصر» للعلّامة مسپرو

الفراعنة في هذا المكان مع تعريف ناظر العمل وزمن الشغل والفعلة الذين قاموا به . ولم يكن العُمّال مقيمين في تعدين هذه المقالع طول سنتهم وانما كانوا يأتون من وقت الى آخر فيقطعون ما يرونهُ لازمًا لبعض الآثار . وربَّما كان يبلغ عدد النحّاتين مئات من الرجال . وبعض قطع الحجارة غاية في الضخم والمتانة والحسن

وكان المصريون يستخرجون من هذه الجبال الرخاميَّة رخامًا اسود وهو المعروف بالديوريت (diorite) كانوا يعتبرونهُ اعتبارًا عظيمًا فيصطنعون منهُ في محلّ تعدينه نواويس وتماثيل وصور ابي الهول . وفي بعض المقالع المنبثّة على مشارف الجبل العربيّ في شماليه كانت مناجم للرخام الابيض الناعم كانوا يتّخذونهُ لآنية ثمينة كأوعية العطور وصفائح المدافن وللآنية المدعوَّة بالكانوپ . وكذلك كانوا يستخرجون منها الحجر البركانيّ الاسود المحبَّب وحجارة اخرى . ومن الجبل المعروف بالاحمر اخذ المصريون تمثال الاله ممنون المصطنع من الحجر الرمليّ والكوارتز . وهذه المقالع كلّها كانوا يلتجئون اليها على حسب الظروف والحاجة (ستأتي البقيَّة) .

مطبوعات شرقية جديدة

Renaud de Châtillon prince d'Antioche

par G. Schlumberger de l'Institut, 1898, pp. 407.

ترجمة رينالد دي شاتيلون

رينالد دي شاتيلون احد امراء الفرنج الذين اشتهروا في الشرق على ايَّام الدولة الايوبيَّة . وقد جاء ذكرهُ غير مرَّة في مؤرّخي العرب كابن الاثير وابن خلدون والظاهري وابي الفداء وسيرة صلاح الدين لابن شدَّاد وهم يسمُّونهُ ارناط . فاحبَّ احد ائمَّة المستشرقين من اعضاء المكتب العلمي في باريس العلاَّمة ج . شلومبرجر ان يجمع في كتاب مستقلّ ما عثر عليهِ من آثار هذا الرجل العظيم فراجع لذلك ما وجدهُ في تآليف معاصريهِ الغربيين والشرقيين فجاء كتابهُ كطرفة بديعة يشمل فوائد لا تحصى ويعرّف زمنًا خفي علينا كثير من احوالهِ فنشكر لكاتب هذا التاريخ ونحضّ القرّاء على مطالعتهِ فانهم يجدون مثلنا في قراءتهِ لذَّةً ونفعًا

Monte Singar: Storia di un popolo ignoto

ܠܝܙܝܕܝܬܐ ܕܕܐܣܢܝܐ

Testo Siro-Caldeo e traduzione italiana, con note storiche per cura di Mgr. S. Giamil 1900, pp. 94+72

من طالع في المشرق المقالات البديعة التي كتبها حضرة الكاتب المحقق الاب انستاس الكرملي عن اليزيديّة وتاريخهم واحوالهم لم يَفُتْهُ ما لهذه الشيعة من الاسرار المكنونة التي يسمى اصحابها جهدهم في اخفائها عن كل من لا يرى رأيهم. وهاك اليوم احد كتبهم التي اشار اليها حضرة الاب انستاس قد نشرهُ بتمامهِ سيادة المنسنيور صموئيل جميل وجد منهُ نسخةً مخطوطة في مكتبة دير ربّان هرمزد للرهبان الكلدان الذين تولّى حضرتهُ رئاستهم العامَّة. وهذا الكتاب يحتوي في عشرة ابواب كثيرًا مما يتعلّق بعقائد اليزيديّة واحوالهم واسرارهم. وهو مكتوب بالكلدانيَّة نقلهُ المنسنيور المومأ اليهِ الى الطليانيَّة واضاف اليهِ عدَّة حواشٍ. ومن مزاعم سيادتهِ انَّ اليزيديَّة والشمسيَّة بدعة واحدة وقد وجدنا من يفرق بينهم. وكذلك يظنُّ سيادتهُ انَّ النَّوَر فرقة من اليزيديَّة مع انَّ العلماء يفرقون بين هذين الجيلَين. وعلى كلّ حال فان المحقّقين يجدون في هذا الكتاب مساعدًا جديدًا للوقوف على كنه اليزيديَّة واخبارهم الدفينة

بولس وفرجيني

لبرناردين دي سان بيار عرَّبها فرح انطون منشئ مجلَّة الجامعة

برناردين دي سان بيار من الكتبة الفرنسويين المبرّزين في القرن الثامن عشر. وروايتهُ المعنونة «بولس وفرجيني» احرزت لهُ شهرةً كبرى لما اودعها من الشواعر اللطيفة والاوصاف الدقيقة. وكانت هذه الرواية قد عُرّبت مرَّةً اولى فاحبَّ جناب منشئ مجلَّة الجامعة اعادة تعريبها ونشرها مع تصاوير تزيدها رونقًا ل. ش

شذرات

بكت القنا ونطق خلفًا — كفَّ صاحب الضياء عن الكتابة مدَّة شهرين فظننَّا ان سكوتهُ يزيدهُ تعقّلًا ويثنيهِ عن المقالات البذيَّة المخلّة بشرفهِ

فخاب املنا اذ انهُ خصَّ عددهُ الاوَّل من سنتهِ الخامسة بالطعن في الجمعيات الرهبانيَّة فكان لكلامهِ اسوأ وقع حتى في قلوب اصحابهِ . امَّا نحن فلا نرى حاجةً الى تفنيد مزاعمهِ وفي اقوالهِ المتضاربة ما يكفي لتزييفها . ومن اراد ان يرى ما صار اليهِ صاحب الضياء من سوء المنقلب فعليهِ بمطالعة ما كتبهُ البشير في صددهِ في العدد الصادر في ٢٧ ت ١

رشّ الطرقات بالبترول افادت المجلات العلميَّة انَّ العلماء اختبروا في عدَّة بلاد كاميركة وفرنسة وايطالية استعمال البترول بدلًا من الماء لرشّ الطرق فوجدوا انَّ الطرق تصلب بذلك فتصير كالحجريّات لا يبقى فيها طين ولا غبار هذا فضلًا عن فوائد أُخرى جزيلة اعظمها امتناع تطاير جراثيم الامراض المعدية . وكيفيَّة العمل ان تكنس الطرق اوَّلًا كنسًا مُحكمًا ثم يُحمى البترول الى الدرجة الستين فيُصبّ بالمرشات ثم يعدهُ الفعلة على الارض بنوع متساوٍ بفرشات جافية . فتبقى الطرق نظيفة مدة سنة تامَّة . وليست نفقات هذا الرشّ بالغة فانَّ طنَّين من البترول يكفيان لرشّ مسافة كيلو متر من طريق ذات اربعة امتار عرضًا . والطنّ من البترول يساوي نحو مئة وثلاثين فرنكًا فاذا اضفتَ الى ذلك اجرة العملة لم تتجاوز في السنة قيمة رشّ كيلو متر من الطرق ٣٠٠ فرنك . وقد سرَّنا ما افادنا بهِ البشير مؤخرًا انَّ الحكومة المصريَّة عزمت على امتحان رشّ الشوارع بالبترول الامركي فعساها تنجح وتقتفي بلديَّتنا بمثالها قريبًا لاسيَّما ان ارض بيروت رمليَّة والرمل اذا دخلهُ البترول اضحى كالحجر . وقد اخذ اهل موناكو يستبدلون البترول بالقطران او بمركباتهِ فوجدوا النتائج لا تختلف كثيرًا مع انَّ النفقات اقلّ

المطبوعات في اوربَّة طُبع في السنة الماضية في اوربَّة ٧٠٠٠٠ كتاب جديد نُشر منها في المانية ٢٣٠٠٠ وفي فرنسة ١٣٠٠٠ وفي ايطالية ٩٥٠٠ وفي انكلترة ٦٥٠٠ والباقي منها في النمسة ثم هولندة ثم بلجكة ثم روسية — امَّا المجلات والجرائد فقصب السبق فيها لفرنسة . فان في شهر تموز المنصرم فقط ظهر فيها ٤٣ نشرة ٢٤ منها في باريس والباقي في سائر المقاطعات . وتختلف مواضيع هذه النشرات فمنها سياسيَّة ومنها ادبيَّة ومنها علميَّة ومنها فنيَّة

احصاءات قبرس أُحصي سكَّان قبرس لسنة ١٩٠١ فبلغ

عددهم ٢٣٧٢٢٠ نفساً منهم ١٢١٦٦٠ ذكرًا و ١١٥٩٥٦ انثى . والكاثوليك هناك نحو ٣٠٠٠ بينهم ١١٣٠ مارونيًا

﴿ الثروة الاوربيَّة ﴾ جاء في قاموس الاحصاءات الذي الَّفهُ العلامة مولهال (Mulhall) ان الثروة غير العقاريَّة في اوربَّة تبلغ ١١٧٥ مليارًا من الفرنكات لانكلترة منها ٢٩٥ مليارًا ولفرنسة ٢٤٧ م ولالمانية ٢٠١ م ولروسية ١٦٠ م وللنمسة ١٠٥ م ولايطالية ٧٩ م ولباجكة ٢٥ م ولهولندة ٢٢ — واذا وزّعت هذه الثروة على افراد كل من هذه الدول اصاب كل انكليزي ٧٤٠٠ فرنك والفرنسوي ٦٥٠٠ والهولندي ٤٦٠٠ والالماني والبلجكي ٣٩٠٠ والنمسوي والايطالي ٢٥٠٠ والروسي ١٥٠٠

﴿ ارجوزة الشاعر المجيد الخوري نيقولا الصائغ في الصلاة ﴾ أُرسلت الينا من دير الشير هذه الارجوزة لتُنشر في المشرق وتُضاف الى ديوان المؤلف لكنَّ هذه النبذة معروفة أُدرجت في الطبعة الاولى من الديوان (سنة ١٨٥٩ ص ٢٣٢ — ٢٤٤) فاسقطها منهُ جناب الشيخ ابراهيم اليازجي لمَّا توَلى تنقيحهُ لأنَّـهُ لم يستحسن نظمها

﴿ ابيات حكميَّة ﴾ ارسل الينا حضرة الخوري يوحنَّا شاهوب المرسل اللاتيني في الكرك هذه القصيدة نظمها لايضاح قول لبيد وهو اصدق بيت قالتهُ العرب :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

﴿ اجعل الله صديقك تنجح طريقك ﴾

لَعَمْرُكَ ليسَ في الدنيا حبيبٌ تزولُ بهِ عن النفسِ الكروبُ
ولا من في صداقتهِ ودادٌ ولا من في سلامتهِ نصيبُ
فلستَ بواجدٍ خلًّا امينًا ترجيهِ فذا أمرٌ عجيبُ
يُبينُ لك الفتى صدقًا وودًّا مراوغةً وفي القلب العطوبُ
ويعطيك الحلاوةَ في حديثٍ وتحت لسانهِ السمُّ المذيبُ
اذا ناديتهُ لم يُصغِ قولًا كأنكَ عندهُ رجلٌ غريبُ
تأمَّل في طريق الحقِّ تنظر جميع الناس اكثرهم كذوبُ

ترى قانين ينتسك في اخيه تاوح على مفارقه الذنوبُ
وسلّم ربّه يوضاسُ مكرًا لحكم الموت وانطلق الحبيبُ
ويوسفُ عصره بيعَ انتقامًا بلا ذنبٍ ولا رقّت قلوبُ
وكم من والدٍ واخٍ وأمٍ لهم في كل حادثة خطوبُ
فهذي حالُ دنيانا وهذي مودّتنا فما لكَ لا تنيبُ
دعاكَ اللهُ يا من رمتَ خلًّا فما خلٌّ لكَ الّا الوهوبُ
تشبّث في عُرى مولاك واقرع له بابًا فانك لا تخيبُ
وقل ربّي استمع مني دعائي فانّك انتَ للداعي مجيبُ
وعلّمني طريقًا مستقيمًا ونوّرني فشمسكَ لا تغيبُ

رقّاص فوكو — وصفنا في المشرق (السنة الاولى ص ٢٦٦–٢٦٨) الامتحان الذي اجراهُ فوكو سنة ١٨٥١ في باريس ليثبت دوران الارض على ذاتها في كل اربع وعشرين ساعة. وذلك انهُ جعل في سقف البانتيون سلكًا معدنيًا طولهُ ٢٤ مترًا وفي اسفلهِ كُرَة نحاسيَّة ثقلها ٢٨ كيلوغرامًا تنتهي بشوكة محدَّدة تحتها لوحة رُسم عليها دائرة مقسَّمة الى ٣٦٠ درجة فاذا أُزيح السلك الى الجنوب وأُطلق تحرَّك بكرته الى الشمال وما يمرُّ على هذا الرقّاص ثماني ساعات حتى ترى اهتزازاته قد اختلفت فصارت وجهتها من الشرق الى الغرب حتى اذا انتهت الـ ٢٤ ساعة عاد بعد دورانه الى حيث ابتدأت حركتهُ. فلو كانت الارض ثابتة لبقيت وجهة خطران الرقّاص واحدة فلمَّا تغيَّرت الوجهة اقتضى ان تكون الارض التي تحت الرقّاص هي الدائرة. وهو الامتحان الذي أُعيد في باريس في ٢٢ من الشهر المنصرم امام نخبة من علماء فرنسة واعيانها فاسفر عن النجاح التام

تهنئة — نهنئ صاحب الضياء لوجوده في حمص مراسل من شاكلته اراد الانتقام على ما كتبناه في رحلتنا من ربلة الى حمص فحشا انتقادهُ شتمًا فاحشًا وكذبًا محضًا فمن ذلك تحامله على راهبات لم نسمع حتى اليوم غير الثناء العاطر على اعمالهنَّ الخيريَّة فلم يستحي ان ينسب اليهن اختطاف البنات. ومنهُ قولهُ أننا أنحينا على الطوائف غير الكاثوليكية بالطعن والتنديد لالقاء الشقاق وليس في كلامنا ما يُشتم منهُ رائحة التنديد على احد مطلقًا ومنها تخطئتهُ لبعض اقوالنا مع كوننا على ثقة اننا لم

نقل غير الصدق فان فرط منّا سهوٌ في شيء. فنحن اوّل من يتدارك الخطأ اذا ما نُبّهنا اليهِ رجلٌ عاقل لا شابٌ من الاغرار ككاتب الضياء الذي لم يتجاسر بكشف اسمهِ لعلمهِ بأنّهُ لم يكتب للانتقاد بل للتشفي من الآباء اليسوعيين الذين طردوهُ من مدرستهم في حمص. فعرفناهُ من كلامهِ وكلّ اناء يرشح بما فيهِ

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد كهنة اللاتين لاي سبب يدعى مطران الروم على زحلة باسم مطران سلفكيّة سلفكيّة

ج سلفكية او سلوقية من اسماء قرية معلولا ولمّا كان اسقف زحلة هو ايضًا اسقف على معلولا قيل لهُ اسقف سلفكية وربّما دُعيت سلفكية الشام تمييزًا لها عن مُدن اخرى عُرفت بهذا الاسم. وللاديب حبيب افندي زيّات كلام في هذا الشأن في كتابهِ المنشور حديثًا عن خزائن الكتب في دمشق وضواحيها (ص ١٢٢ و ١٢٣)

س سألنا جناب الاديب ي. بشاره الموراني ما قولنا عن كتاب مار قبريانوس المبيع في المكتبة العمومية في بيروت

كتاب مار قبريانوس

ج هذا الكتاب من الخرافات الشائعة بين العامّة فيهِ عدّة اقوال باطلة اشبه بالاقاويل السحريّة التي لا يجوز استعمالها للكاثوليكي. وليست نسبة الكتاب للقديس قبريانوس صحيحة كما يظهر من مجرَّد قراءتهِ وقد ورد فيهِ اسم القديس انطونيوس الذي عاش بعد القديس قبريانوس بزمن طويل. وخلاصة القول نكرّر ما قلناهُ غير مرَّة لا يجوز استعمال مثل هذه الاوراق وغيرها ما لم تكن ممضاةً بختم احد الاساقفة الكاثوليك ويخطئ الذين يسعون في طبعها ونشرها

س سأل من طنطا جناب الاديب حلمي افندي مصري هل صادقت الكنيسة على معجزات القديس انطونيوس البدواني

معجزات القديس انطونيوس البدواني

ج اجترح الله بشفاعة القديس انطونيوس البدواني عجائب كثيرة شهد على صدقها الوف من الشهود العيانيين الموثوق بهم. على انَّ الكنيسة لا تصادق على كل هذه المعجزات الّا اذا ارادت ان تثبت قداسة احد ابنائها فتفحص حينئذٍ ما جرى على يده من الخوارق لترى ما فيها من الصحَّة ل. ش

المشرق

المدرسة المستنصريَّة

من كتاب مساجد بغداد ومدارسها وهو تحت الطبع لحضرة الامام النقيه
الشيخ محمود شكري افندي الآلوسي

وقد استلَّها من الكتاب المذكور الاب انستاس ماري الكرملي

مرَّ في المشرق (٥: ١٦٤) شيء من وصف هذه المدرسة اثبتهُ القانوني البارع جرجس افندي صفا في أثناء مقالة كتبها لتعريف كتبه الخطيَّة. غير ان هذا الوصف مع ما يحتويه من الفوائد لم يكن مستوفيًا فاحببنا تتمَّةً للفائدة ان نسطّر هنا هذه النبذة المستحسنة شاكرين لناسج بُردتها المنمَّنة　(المشرق)

١ صاحب المدرسة المستنصريَّة

قد احكمَتْها يد الاتقانِ رافعةً　بنيانَها للمعالي فوق كيوانِ
شمس المعارف دارت فوق قُبَّتها　ومن ذراها بدت اقمار عرفانِ
منها تسيل ينابيع الكمال كما　قد شِيدَ للعلم فيها خير أركانِ
والطالبون فنون العلم قد عكفوا　فيها يجيدونَ دومًا صرف اذهانِ
فكم الى الدين بالتحصيل قد غرسوا　اشجار علم جناها فوق أغصانِ
فيها المعارف جاءت وهي مُعْرِبةٌ　عن حكمة ما حواها صدر لقمانِ
بين المدارس قد اضحت مشاهدها　كروضةٍ أينعت في روض بُستانِ

هذه المدرسة رصينة البناء. محكمة القواعد والارجاء. واسعة الساحة لم يُبنَ في أيامها احسن منها ولا اكثر وقوفًا. وهي على دجلة من الجانب الشرقي من بغداد عند الجسر الموجود اليوم ولم تزل الى عصرنا هذا قائمة الاركان مشيَّدة البنيان. بناها المستنصر بالله ابو جعفر المنصور بن الظاهر الخليفة العبَّاسي طيَّب الله ثراهُ وجعل الجنَّة

مستقرهُ ومثواهُ . ورتّب فيها اربعةً من المدرّسين على المذاهب الاربعة . وعمل فيها بيمارستاناً ورتّب فيها مطبخاً للفقهاء ، ومُزَمِّلةً للماء البارد وقد كُتب فوق بابها الكبير الواسع تاريخ انشائها منقوشاً على الآجرّ وهو باقٍ الى اليوم ونصُّهُ :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد انشأ هذا المحل رغبةً في ان الله لا يضيع أجر من احسن عملًا وطلباً للفوز بجنان الفردوس التي اعدَّها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلًا . وامر ان تُجمل مدرسةً للفقهاء على المذاهب الاربعة سيدُنا ومولانا امام المسلمين وخليفة ربّ العالمين ابو جعفر المنصور المستنصر بالله امير المؤمنين شيّد الله تعالى معالم الدين بخلود سلطانه واحيا قلوب اهل العمل بتضاعف نعمه واحسانه وذلك في سنة ثلاثين وستمائة (١٢٣٣م) وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله وسلّم

ثمّ اسمُ الخليفة المشار اليه والثناء بما هو اهلهُ وتاريخ الانشاء .

وكان هذا الخليفة اعلى الله تعالى مقامهُ على جانب عظيم من الفضل وحسن الخلق والصفات الكاملة والمزايا الجليلة قال ابن النجّار في تاريخه : « لمّا ولي الخلافة نشر العدل في الرعايا وبذل الانصاف في القضايا وقرّب اهل العلم والدين وبنى المساجد والأربطة وعمّر الطرق وجمع الجيوش لنصرة الاسلام وحفظ الثغور وافتتح الحصون واجتمعت القلوب على محبتهِ والالسُن على مدحهِ . واستخدم عساكر عظيمة وكان ذا همّة عالية وشجاعةٍ واقدامٍ عظيمٍ قصد التتارُ البلادَ فلقيهم فهزم التتارَ هزيمةً عظيمة . تُوفي رحمهُ الله يوم الجمعة عاشر جُمادى الآخرة سنة اربعين وستمائة (١٢٤٢م) ولهُ من العمر اثنتان وخمسون سنة فكانت خلافتهُ نحو سبع عشرة سنة » انتهى . وقد اتفق المؤرخون على الثناء عليهِ وعدّ مزاياهُ الجميلة بما لا يسع المقامُ ذكرهُ

٢ وصف هذه المدرسة ومرافقها

اذا دخلها اليوم انسان من بابها الكبير الذي في جهة الجنوب للداخل يرى فسحةً طولها نحو مائة متر وعرضها نصف ذلك وفي كل جهة منها ايوان رفيع السمك كأنهُ أُعدّ كل واحد منها لمدرّس من المذاهب الاربعة . وفي جدار كل ايوانٍ منها وهو ما يستقبلهُ الداخل سطرٌ منقوش في الحجر لم يبقَ منهُ اليوم حرف واحد . وفي طرفي الايوان رواق ممتدّ وفي منتهاهُ حُجَر أُعدّت للطلبة المقيمين في المدرسة وطبقة اعلى منهُ على هذا المنوال وفي جنبها من جهة الغرب دار للكُتُب التي لم يجتمع مثلها في غير هذا المحلّ

كثرة ونفاسة وقد انفرد كل فن بمحل منها. وكانت فهرسة الكتب عدة مجلدات ضخام وكان المحافظون عليها عدة اشخاص من المحدثين يذاكرون المشتغلين بعلم الحديث باوقات مخصوصة علاوة على وظائفهم. والى جانب المدرسة دار يأتم فيها الكتاب الكريم لعدد مخصوص من الايتام الفقراء. وفي شرقي هذه المدرسة دار للطبخ ومحل للذخائر وغير ذلك من ضروريات الطلبة وفي جنب هذه الدار حمّام مختص بالمدرسة. وكل هذه المباني مبنية باتقان واحكام وقد مضى عليها الى يومنا هذا ستمائة وتسعون سنة ولم يضعضعها تقادم الزمان وتعاقب الدهور. وقد زارها ابن بطوطة عند مروره على بغداد ووصفها بأبدع وصف واوجزه وذكر المدرسين وكيفية جلوس الاستاذ عند التدريس وقال انها في منتهى سوق الثلاثاء على دجلة وفي وسط السوق المدرسة النظامية وذكر ان هذا السوق فيه كثير من الصنائع ....

٣ الفنون التي كانت تدرس في هذه المدرسة

قد سبق ان مؤسس هذه المدرسة طيّب الله ثراهُ أنشأها للفقهاء على المذاهب الاربعة فيُشتغل فيها بعلوم الدين ولا شك ان علم الفقه اصولهُ وفروعهُ موقوف على فنون كثيرة واتقانهُ منوط بضبط علوم تفوت الحصر. وقد وقفتُ على بيان ما كان يُقرأ في هذه المدرسة على سبيل الاجمال وانّ المشتغلين فيها على اقسام واصناف فربّما كان منهم من يشتغل في اليوم باربعة فنون او اكثر او اقل. فالعلوم التي كانت تُقرأ على سبيل الاجمال: علم الفقه. علم اصول الفقه. علم الحديث. علم اصول الحديث. علم اسماء الرجال وتراجمهم. علم التاريخ. علم الادب. علم متن اللغة. علم اصول اللغة. علم النحو. علم اصول النحو. علم المعاني والبيان والبديع. علم الانشاء والترسل. علم قرض الشعر. علم نقد الشعر. علم الطب ولواحقهِ. علم الحيوان. علم النبات. علم الهندسة. علم تهذيب الاخلاق ورياضة النفس. علم الحساب. علم المساحة. علم الفرائض. علم معرفة البلاد وتقويمها. علم الزيج والفلك. علم الهيئة. علم الكلام والعقائد. علم المنطق. علم التفسير. علم القراءات

وكان الموظفون في المدرسة اقل من المشتغلين فيها فانهم في كل وقت دون ألفي طالب على اختلاف طبقاتهم واستعدادهم. واما الموظفون فهم دون الالف وكانت

التفرقة بين الاصناف والطبقات بألوان الطيالس فذوو الطيالسة الصفر صنف. والبيض صنف. والحُمر صنف. وهكذا الخ

وكانت هذه المدرسة مجمع افاضل العصر وائمته. واعلام الزمان واساتذته. كم نشأ منها إمام. ومجتهد همام. بزغت منهم شموس المعارف والكمالات. واشرقت من افقهم بدور الفضل اللامعات. وكان المدرّسون في هذه المدرسة ممّن اشتهر في عصرهِ بالتفرُّد والتفوّق على من سواهُ. ومن مشاهيرهم: الشيخ الامام جمال الدين عبد الله بن محمّد بن عليّ العاقولي. درّس فيها نحو اربعين سنة وكان شيخ الاسلام في عصرهِ متضلّعاً من سائر العلوم العقليَّة والنقليَّة وكان قويَّ النفس لهُ وجاهة في الدولة كم كُشفت بهِ كربة عن الناس بسعيهِ وقصدهِ. انتهت اليهِ رئاسة الشافعيَّة ببغداد. مولدهُ على ما في تاريخ شذرات الذهب في رجب سنة ثمان وثلاثين وستمائة (١٢٤٢ م) ووفاتهُ في شوال ببغداد ولهُ تسعون سنة وثلاثة اشهر

وتفصيل تراجم مدرّسي المستنصريَّة في تاريخ ابن النجّار وغيرهِ. وكذلك بيان من تخرّج فيها من الاساتذة وائمة الأعلام

وبعد كتابة هذه الاسطر وقفتُ على ما كتبهُ في وصف هذه المدرسة العلاّمة الشيخ عبد الرحمن الإربليّ في كتابهِ « سِيَر الملوك » قال عند الكلام على ترجمة المستنصر بالله ما نصهُ:

« ومن محبتهِ للعلوم انشأ خزانة للكتب بشريف حضرتهِ. ومقدس سيرتهِ. جمع فيها من انواع العلوم على اختلافها. وتباينها وائتلافها. بالاصول المضبوطة. والخطوط المنسوبة. ما جاوز حدَّ الكثرة. ثم انشأ مدرسةً على شاطئ دجلة وجملها وقفاً على المذاهب الاربعة ليُحصل بها كمال المنفعة. فجاءت محكمة البناء. راسخة في الماء. فسيحة الفناء. وضعُها غريب. وحسن ترتيبها عجيب. شامخة الى عنان السماء. تضحك شرافاتها بالسرور. ويظهر في ابنيتها الفرح والحبور. ويلمع العزّ في نواحيها ويطلع السعد من اساسها واعاليها. فهي كعبة الانام. وقبّة الاسلام. مجمع سائر الدين. ومذاهب المسلمين. وعلم الاصول والفروع. المتفرق فيها والمجموع. وعلم القوافي وعلم الحديث ومعرفة الحلال والحرام وقسمة الفرائض والتركات وعلم الحساب والمساحات وعلم الطبّ ومنافع

الحيوان وحفظ قوام الصحة وتقويم البلدان. ولما تكملت ابنيتها كُسيت بافخر الملابس وتجلّت كاحسن العرائس ورتّب لها البوّابين والفرّاشين والخدَم والطبّاخين واسكن لكل مذهب اثنين وستين من الفقهاء. وجعل لهم مدارس واربعة مُعيدين وأجريت لهم بها المشاهرات الوافرة وما يحتاجون اليه من الخبز واللحم والحلوى والفواكه والاباز ير والصابون. وجعل فيها طبيباً حاذقاً ماهراً واثبت عنده عشرة من الطلبة يشتغلون عليه في علم الطب وجعل لهم الاكحال السائلة وبُنيت لهم صُفَّة فاخرة مقابلة للمدرسة يجلس فيها فيقصدهُ المرضى فيداويهم. وبنى في حائط هذه الصفّة دائرة عجيبة وصورتها صورة الفلك وجعل فيها طاقات صغاراً لها ابواب كلّما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب الطاقات وهو مذهّب فصار مفضّضاً ومضت ساعة من الزمان. والبندقتان من شَبَه يقعان من فم بازَين من ذهب في طاستَين من ذهب ويذهبان الى مواضعهما وتطلع شموس من ذهب في سماء زرقاء في ذلك الفلك ومع طلوع الشمس تدور مع دورانها وتغيب مع غيبوبتها. فاذا غابت الشمس وجاء الليل فهناك اقمار طالعة من ضوء خلفها كلما مضت ساعة تكامل الضوء في دائرة القمر ثم تبـدو بالدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس .

« يقول مؤلف تاريخ بني العباس الإمام العالم تاج الدين عليّ بن الحسن المعروف بابن الساعي ان هذه منقبة لم يسمُ اليها الاوّلون. ثم جعل فيها خزانة الكتب ونقل اليها من الرَّبعات الشريفة والكتب النفيسة والاصول المضبوطة المحتوية على جميع العلوم مائتين وتسعين حملاً سوى ما نُقل اليها بعد ذلك وشرط ان يكون في دار الكتب التي هي الخزانة فيها عشرة يشتغلون بعلم الحديث النبوي ورتّب عندهم شيخاً على الاستاذ يُقرأ عليه الحديث. ثم الى جانب هذه المدرسة دار برسم تلقين القرآن المجيد يُتبنّى بها ثلثون صبياً ايتاماً يتلقّنون القرآن من شيخ ملقن ويكون لهم مُعيداً يحفظهم التلاقين. وشرط للجميع من الخبز والمشاهرة والوظائف ما تضمّنهُ شرط الواقف رحمهُ الله. ثم شرط ايضاً ان يكون فيها من يشتغل بعلم العربية وكذا من يشتغـل بعلم الحساب والفرائض. ثم أنشأ قدّس الله روحهُ من المشاهد والمساجد والرُّبط والمناور والقناطر ووسع الطرقات الى غير ذلك من الصدقات في كل الأيّام واعطى الثياب والخلع والجرايات في شهر

رمضان والرواتب في سوى ذلك وعموم هذه الاسباب العلماء والعباسيين والعلويين والضعفاء والمساكين وتزويج الايامى والحنوّ على اليتامى وذلك اكثر من ان يُحصر . فنسأل الله تعالى ان يُحسن اليه وان يتغمده برحمته ورضوانه ويسكنهُ بحبوحة جنانهِ بمحمّدٍ وآلهِ » انتهى

إطلاع الحضر على أطلاع النَّوَر

لحضرة الكاتب العالم والباحث المتفنّن الاب انستاس الكرملي

(تابع لما سبق)

٥ (لغة النوَر) قد قلنا ان الواسطة الاخرى لمعرفة اصل هؤلاء الاقوام هي البحث عن لغتهم وتحليل الفاظها والتنقيب عن اصلها . وقد سبقنا الى ذلك جماعةٌ من علماء الافرنج وقد قرَّ رأيهم في ان اغلب الفاظ لغتهم من اصلٍ سَنْسكريتي (السنسكريتية لغة الهند القديمة) وهذا الراي يؤيد القول بان هؤلاء الاقوام خليط من سفلة الهنود والفُرس ومما جاورهم من الناس لان لغاتهم راجعة كلها الى الاصل الآري او الهنديّ الاوربيّ

واعلم ان النوَر قد حافظوا على لغتهم هذه في جميع الاقطار الاوربية من شمالية وجنوبية وكذا قل عن سائر البلاد الموجودين فيها كالاناضول مثلاً والروملي ومصر وسوريَّة وارمينية وفارس الّا انّها لا تخلو من لغاتٍ غريبة كالانكليزيَّة والفرنسيَّة والايطالية ونحوها وقد دخلتها إثرَ مُخالطاتهم لهؤلاء الناس بل وهذه الكلم تزداد او تنقص في لغتهم على نسبة تداخلهم مع من ليس من جنسهم

امّا في بلادنا العراقيّة هذه فالنوَر على فئتين عظيمتين: فِئة تتردّد بين بلاد فارس وهذه الاصقاع . وفئة تطوف البلاد العربية على طولها وعرضها ولا تخرج منها . فلغة الفئة الاولى (وتسمَّى الكاولية بوجه الاطلاق) تشابه كل المشابهة اللغة الكرديَّة

والفارسيّة. وقد دوّنتُ منها الفاظاً كثيرة وحكايات وبعد فحصها وجدتُها كما قلتُ. وانتَ لا تجهل بان الكرديّة والفارسية من فروع اللغات الآريّة. واما لغة الفئة الثانية (وتسمّى كاوليّة العرب) فهي خليط من العربيّة وبعض الكرديّة وبعض الفاظ تواطؤوا على لفظها وصيغتها كالعرب ومنها الفاظ عربية الّا انّ معانيها لا تتفق مع المعنى المشهور المألوف بل قد وضعوا لها معاني أخرى بعيدة عن الاصل تلبيساً على سامعيهم. شافهتُ بعضهم بهذا الخصوص فلم يُريدوا ابداً ان يذكروا لي شيئاً من لغتهم هذه وان أرَيتُهم الاصفر الرنّان. الّا ان واحداً منهم غنّى لي اغنيّة في اللغة العربية وكان يوقعها على الربابة وهي من الآلات المشهورة عندهم. واليك نصّ ما غنّى:

(١ مشاهيرْ البَلَدْ هُمْ وَنجدهُمْ كُلّْ البلادْ مَا نِلكِيْ وَنجدهُمْ
جَبَلْ سَنْجارْ مَا يكْدَرْ يجازيهُمْ يرُدُّونْ السَّبايَا عَلَى الكَفَا

يمدح المغني شيوخ قبيلة المنتفق ويسمّيهم مشاهير البلاد هم واجدادهم ويقول عن لسان الكاولية جميعهم اننا ما نجد (نَلقى = نلكي. لأنّهم يلفظون القاف كافاً فارسية) واذا اراد الانسان ان يكافئهم على مآثرهم فلا يجد هديّة تناسب مقامهم ولو تلك الهديّة بكبر جبل سنجار او بقيمته ومن هذه المآثر ردّ الجيوش (السبايا) على اعقابها (الكَفا = القفا)

سَعدُونْ وَيَا نَطيحْ الوزرا بَاكَاتْ جَايِبْ مِنْ أرماحْ البَدُوْ بَاكَاتْ
حَسَافَة عَلَى المَجيدْ يرُوحْ بُوكَاتْ (٢ وَصْبَانْ الحَرُبْ كَانُوا غيَابْ

اي وانت يا سعدون (شيخ قبيلة المنتفق الأعظم الحالي وهو مشهور بغزواته وبسالته وشهامة نفسه) يا ناطح الوزراء جماعات جماعات (باكات = باقات) إنك تاتينا برماح اهل البادية حزماً حزماً فأسفاً (حسافه) على الزعيم (المجيد = العقيد) يذهب سرقةً وخيانةً (بوكات = بوقات وهي جمع بوقة من باقَ اي سرقَ) إذ أخذ بينما كان المحاربون غياباً. والزعيم هنا هو الشيخ سعدون نفسهُ كان قد قبض عليه اعداؤهُ خيانةً ومكراً ولم يبقَ في ايديهم زمناً طويلاً بل افلت بعد قليل

---

١) و٢) هذه العلامة ' تلفظ لفظ e في le والضمّة المقلوبة ' تلفظ o الافرنجية (راجع المشرق ٦: ٧٨١)

أَلْحَدِيدِي يْحَاوِلْ أَلْمُوَلَى غَوَاكْ ٱبْلِيسْ يَا مُولَى
وَحَطَّالَكْ جَنَاحِينْ يكُونْ تْشُوفْ لَكْ دِيرَه وِجْنَاحِينْ
لَوْ تْشُوفْ حَلُولْنَا مْنْ بَعْدْ هَالْحِينْ أَلْحُمْرْ أَلْيَرْمَنْ رَوَاكِيضْ أَلْكَطَا

اي أخذت عشيرةُ الحديدِيّ (وهي محالفة للشيخ سعدون) تحارب (يحاول — يقابل) قبيلة المولى (وهي من القبائل المعادية لسَعدون) فيا للعجب كيف أطغاك إبليس يا شيخ (مُولى) المَولى فدفعك انت وقومك الى هذه المحاربة التي انقلبت وَيْلًا عليكَ إذ رجعتَ مَدحورًا وأفلتَّ من بين قومك على غفلةٍ منهم كأنَّ الشيطان ركَّب لك (حطَّالكَ إشباع حطَّ لك اي جعل لك) جناحين فطِرتَ بهما طالبًا (تشوف — ترى) لحلّ (دِيْرَة) تنزل فيه وتبني لك فيه جناحين (مُثنّى جناح وهو المنظر على الطريق) تشبُّهًا باهل الحضر الذين يُحبّون الاقامة في البيوت خوفًا على نفوسهم فليتكَ تاتي وتشهد (وتشوف) منازلنا (حُلولنا) بعد هَرَبك (بعد هالحين = بعد هذا الحين اي حين فرارك) فلا ترى فيها الَّا البنادق (الحمْر — الحمْر جمع حمراء اي البندقيَّة التي تحمرُّ من كثرة ما تُضهر من تعدُّد طلقاتها) التي ترْمي (اليرْمن — التي يَرْمِينَ) رَواكض القطا والمراد بهم هُنا المحاربين الذين فزعوا كلَّ الفزع واخذوا بالركض كما يهرب القطا حينما يُداهمهُ الصيَّاد

قلتُ: انَّ هـذا الكلام وان كان لابسًا ثوبًا خشنًا وخاليًا من وشي الاعراب الَّا انهُ يشفّ عن بلاغة وفصاحة وسموٍّ في المعنى لا يكاد يجسُر ان يدنو منهـا شعر أكبر الشعراء. ولعلَّ كلامنا هذا يثقل على اسماع كثيرين من القرَّاء لاوَّل وهلةٍ الَّا انهُ يصادف آذانًا واعية في الذين ينظرون الى الامور بعين الاخلاص والتجرُّد من الغرض

وقد سألتُ هذا الكاولِيّ عن سبب تطواف قومه في الارض فقـال: ان الله قد قال الكل واحدٍ منَّا: ليكن زندك ربابك. وبطنك جرابك. وما لك دار معلومة. وعيشتك على «اخوك» مختومة

ثم اني سألتهُ اسئلةً فاجابني عنها فقال: انني من الكاوليَّة الذين يتردَّدون على بني تميم. ففي الصيف نتزل بالعراق وبالشتاء في أبي صيدة وخالص ونواحيهـا. واسم شيخنا مزمان يبيع الاحصنة وعددنا ١٥٠٠ خيمة وفينا سُنَّة الَّا انهُ يغلب علينـا التشيُّع لعليٍّ ونحن اصحاب رَبابة ونساؤُنا يَفتحنَ الفال. وكان عددنا عديدًا

ولنعُد الآن الى الكلام عن الذين بحثوا عن لغة النوَر عند الافرنج. فنهم كرِلمَن الالماني (Grellmann) وقد نقِل كتابهُ الى الفرنسيَّة وطبع في باريس سنة ١٨١٠ وخلاصة أبحاثه ان لغتهم تشبهُ اللغة الهنديَّة كل الشبه فاصلهم من هندستان وانهم من الطائفة الهنديَّة السافلة المعروفة اليوم باسم « البارية » او « الخذَلة » les Parais ou Chandalas ومن كتبتهم ايضاً أ. ف. بُتّ .A. F. Potte (١ورأي هـذا يكاد يكون رأي ذاك. والكاتب جورج بورو المتوفى سنة ١٨٨١ قال عنهُ في الهلال (٤ : ٣٨٢) انهُ « خالط النوَر وآخاهم ودرس لغتهم وسائر احوالهم والَّف بضعة كتب فيهم. منها كتاب اسمهُ « الزنكالي » نشرهُ سنة ١٨٤١ وآخر اسمهُ « التوراة في اسبانيا » وقاموساً جامعاً للغة النوَر وغيرها. ويوخذ من ابحاث هذا العالم ان اصل هؤلاء القوم من شماليّ بلاد الهند. يتكلمون لغة واحدة تشبهُ في اصولها وتركيبها لغة الهنود القديمة وهم يسمونها ويسمُّون جنسهم « رُماني » وممنى « رم » في لغتهم زوج ورُماني طائفة الأزواج. انتهى

وقد لاحظ بَلّاس (Pallas) ان اللغة التي يتكلَّمها النوَر تضاهي كلَّ المضاهاة لغة تجار هنود المُلتان وقد اتَّفق لهُ ان يتعارف بجماعةٍ منهم في استرخان. وممَّا لا يحتاج الى دليل لاثباته ان لغتهم هي هندية الاصل كما مرَّ بك باجماع جمهور الباحثين. وتُقسم كَلِمُهم الى ثلاثة اقسام وهي: اصليَّة وفرعيَّة ومشتقَّة. امَّا اداة التعريف فموجودة عندهم الَّا انَّها نادرة الاستعمال

ويُعرَب الاسم على ستّة اوجهٍ ولهم نوعان من المنصوب ونوعان من المخفوض وينتهي المضاف اليه كما ينتهي في اللغة الهندستانيَّة بحرف « و » (اي o) او « ي » (اي i) حسبما يكون المُضاف مذكَّرًا او مؤنثاً. وتُتَّخذ علامة المجرور ايضاً لتحويل الاسم الى نعتٍ حقيقيّ نحو « بَرش Berch » اي سنة فتقول فيها « بَرشِسكَرو Berchiskero » للسنة او سنوي واذا اردتَ القابلة زدتَ « يدِر idir » في آخر الصيغة الاصليَّة. واذا اردتَ المفاضلة زدتَ « كهن kohn » (بمعنى مَنْ ؟ او ايّ ؟) على صَدر نعت القابلة. فتقول مثلاً: « كاملُو kamlo » اي عزيز . وكامليدِر

(١ Hist. des Bohémiens. *Halle* 1845

kamlidir » اي اعزّ « وكهنكاملدر kohn kamlidir الاعزّ » (ومعنى هذه حرفيًا « من هو اعزّ ؟ بتقديرك كلمة « الشخص » ومحصّل المعنى « من هو الشخص الاعزّ »

امّا تصريف الافعال فيكون بواسطة تغيير يلحق آخر الافعال . ولكل من المتكلم والمخاطب والغائب صيغة خاصّة به وهو ممّا يُغني عن حذف الضمائر . وليس في لغة النوَر الّا زمانان وهما الماضي والحاضر ولهم ثلاثة صيغ للتصريف تُقابل هذه الصيغ اللاتينيّة وهي ut faciam, ut facerem, ut fecissem وليس لهم مصدر حقيقي قائم بنفسه واذا ارادوا التعبير عنهُ ادخلوا على اول الفعل الاداة « تِ te » كقولك : « مُ كا ڤاتْ چيناڤ » اي أريد الكتابة . ومعنى الجملة حرفيًا : أريد ان اكتُبَ » . وليس لهم صيغة خصوصيّة للمستقبل واذا ارادوا ذلك توصّلوا اليه بافعال ثانوية تُساعدهم على تأدية المُراد . ومن هذه الافعال « ذهب واتى » وبواسطة تغييراتٍ طفيفة يبلغون الى آداء معاني « المعرفة والاستطاعة والوجوب » الخ . وامّا اصل الكلمة أو جَذرها فهو « الامر » لا الماضي او المصدر

وفي لغة النوَر طائفة عظيمة من الكلم الدخيلة وهو امرٌ لا نُدحة عنهُ لقوم افّاقين يتجوّلون في بلاد الله على طولها وعرضها طول حياتهم . امّا اللغات الاجنبيّة التي امدّت اللغة النوريّة ببعض من كلمها فهي التركية واليونانية والروميـة والايطالية والفلاخيّة والمجريّة والالمانيّة والصقليّة والكرديّة الخ الخ . هذا وان كثرت تلك العناصر وتضاربت الّا انهُ ممّا يتميّز فيها تميّزًا صريحًا باتًّا في صرف هذه اللغة ونحوها وفي مجموع مفرداتها هي اللغة الاصليّة التي هي بمنزلة الأمّ بجنب ما دخلهـا من ألفاظ سائر اللغات . وهي بدون ريب تضاهي لغة من اللغات الهنديّة المشتقة من الهنديّة القديمة المعروفة باسم السنسكريتيّة . وبالخصوص انّها تشابه كل المشابهة الفارسيّة . وادعامًا لهذا الراي واظهارًا لهذه المشابهة نذكر بعض الشواهد . من ذلك « الشمس » فاسمها في النوريّة « شَمْ cham » وبالهندستانيّة « كَمْ kam » . واسم الفضّة بالنوريّة « رُپْ rup » وبالهندستانية ruppa (قلتُ ومنهُ الرُّبيّة roupie لقِطعة من النقود الفضية المستعملة في بلاد الهند) واسم الشَّعْر بالنوريّة « بالْ bal » وبالهندستانية « بَالْ bal » . والراس بالنورية « چِرُو tchèro » وبالفارسية « سَرْ ser » . واليد بالنوريّة « وَسْت wast »

وبالفارسية « دَست dest ». والاصبع بالنوريّة « كُشدُو guzhdo » وبالفارسية « أنكشت engucht ». والحظ بالنوريّة « بَخت baxt » وبالفارسية « بَخت bacht ». والخيمة بالنوريّة « جَاتَر tchater » وبالهندستانية « جَاتَر tchater » وبالفارسية « چادِر tchadir ». الخ الخ . والشواهد على ذلك لا تُعَدّ ولا تُحَدّ وقد اجتزأنا بما مرّ

واما من جهة الخط فلم يُسمع الى اليوم بوجوده عندهم . وقد زعم البعض ان للنور في بلاد المجر خطاً خاصاً بهم وهـذا لا يُستبعَد من مثل هؤلاء الاقوام لانهم اذا ارادوا المواصلات واحتاجوا الى الكتابة في المعاملات دفعتهم الضرورة الى الكتابة لكي لا يطلع احدٌ على اسرارهم . وربما وضعها واحدٌ ممن اصبحت اسراره مهمة فالجأ الى ايجاد كتابة يُكاتب بها مراسلهُ فانتقلت بعد ذلك الى واحدٍ من اصحابهِ او ممّن جاورهُ . ثم عمّت الجيل كلّهُ

هذا وان لم يذكر لهم آداب لغويّة ثابتة الّا ان النوَر مولعون بالنظم وبينهم كثيرون ممّن يرتجل الابيات ارتجالًا ويندفع اليها استرسالًا فينظم شعراؤهم قصائد في اثناء غنائهم . واذا تسمّعت اشعارهم يطرق آذانك كثير من الجناس اللفظيّ والرويّ البديع غير ان الجوازات الشعريّة تكثر فيها لسبب هذا الارتجال الّا انّها مع كل ذلك لا تخفى على عقول السامعين من الحضور لما في اذهانهم من الاستعداد لمثل هذه الامور وانتظارها من الجميع على سَنَنٍ مشهور

امّا اشهر العرب الذين كتبوا عن لغة النوَر او بني ساسان فيهم : الحريريّ في مقامته الساسانيّة وقد ذكر فيها الفاظاً من لغتهم . وامّا بديع الزمان الهمذاني فقد اورد في مقاماته بعضاً من عوائدهم وحيلهم الّا انهُ لم يذكر شيئاً من لغتهم . وقد اورد الخفاجي ايضاً في كتابهِ شفاء الغليل بعض كلماتٍ من رُطَيْناهم . امّا الذي فاق جميع كتبة العرب في هذا الصدد ودوّن الشيء الكثير من مُواضَعاتهم والفاظهم واصطلاحاتهم فهو واحدٌ من ساساني العرب اسمهُ « ابو دُلَف الخزرجيّ الينبوعي » وقد نظم لهذه الغاية قصيدة سمّاها « القصيدة الساسانيّة » وقد ذكر كثيراً من ابياتها الثعالبيُّ في كتابهِ « يتيمة الدَّهر » وقد شرح بعض الفاظها الغريبة . الّا انهُ لا يُمكن اثبات هذه القصيدة لما فيها من التهتُّك والمجون والخلاعة ولما تحوي من الالفاظ البذيئة غير انّنا

نورد شيئاً قليلاً منها ايقافاً للجمهور على مثالٍ لهذه اللغة التي كانت شائعة يومئذٍ في عصر بني العبّاس وقد أثّرت كل التأثير على أدباء ذلك العصر بما ان طائفةً من الفاظها دخلت في اللغة الفصيحة ووردت على رؤوس أقلام مشاهير الكتّاب ولم ينبّه عليها احدٌ أنّها من لغة بني ساسان. امّا بعض ما جاء في هذه القصيدة فمنها قولهُ:

ومنّا الكاغُ والكاغة م والشيشق في السّحر (١
واشكال وأغلال من الحد او الصفر (٢
ومَن دَرْوَزَ او حرَّ زَ او كوَّزَ بالدغرِ (٣
ومن درَّع او قشَّع م او دمَّع في القرِّ (٤
ومن رعَّس او كبَّس او غلَّس في الفجرِ (٥
وحاجور وكذّابا ت اهل الاوجه الصفرِ (٦
ومن شطَّب او ركَّب م للضربات والعقرِ (٧
ومن مَيْسَر او مخْطَرَ م واستنفرَ للثغرِ (٨
ومن ناكذ في القينو ن من جوف ابي شمرِ (٩

١) (الكاغ والكاغة) المُتَجانِن والمتجانة (هكذا ذكر هاتين اللفظتين الثعالبي اي بفكّ الادغام وهو جائز). (والشيشق) الحدائد والتعاويذ التي يعلّقونها على انفُسهم ٢) (الحد) الحديد

٣) (دَرْوَزَ) اذا دار على السكك والدروب وسَخِر بالنساء. (وحرَّز) اذا كتب التعاويذ والاحراز. (وكوَّز) اذا اقام في المجلس. (والمكوِّز) هو الذي يقوم في مجالس القُصّاص فيأمر القاصّ اصحابَهُ باعطائه ثم اذا تفرّقوا تقاسموا ما اعطوهُ. (والدغر) المقاسمة

٤) (درَّع) اذا جاء الحرّاس وطلب قطعة من الحريبة فاذا اعطاه ايّاها لحسها. (وقشَّع) اذا مشى وعينهُ الى الارض لطلب القطع. (ودمَّع) اذا بكى في الاسواق عند البَرْد حتى يُعطى

٥) (رعَّس) اذا طاف على حوانيت الباعة فاخذ من هُنا جوزة ومن هنا تمرة وتينةً. (وكبَّس) اذا دار فاذ نظر الى رجلٍ قد حلَّ دَستَجَتَهُ كَبَسهُ واخذ منهُ قطعة. (وغلَّس) اذا خرج الى الكدية بغلسٍ

٦) (الحاجور) الذي يثقب بيضة ويحملها في حجرهِ وهي تسيل ماء اصفر. (والكذابات) العصابات يشدُّونها على جباههم فيوهمون انهم مرضى

٧) (شطَّبَ) اذا عقر نفسهُ بالموسى وجعل يكذب على الاعراب والاكراد واللصوص. (وركَّب) اذا طلى جسمهُ بالشيرج حتّى يسودَّ جلدهُ واوهم انهُ جُلِدَ او لطمتهُ الجنّ ليلًا

٨) (مَيْسَرَ) اذ كدَّى على انهُ من الثغر ويقال لهُ: المَيْسَراني. (ومَخْطَر) اذا بَلَعَ لسانهُ واوهم ان الروم قطعوهُ

٩) (المناكذة) ان يتقاسموا ما يأخذونهُ من الثياب والسلاح بعلّة الغزو. (والقينون) موضع القسمة. (وابو شمر) اوّل من كدَّى بعلّة الغُزاة

ومن رشَّ وذو المكوى ومن دَرْمك بالعطرِ (١
ومن دكَّك او فكَّك م او بَلْنَكَ بالحرِّ (٢
ومن قصَّ لاسرائيل م او شبرا على شبرِ (٣
ومن بَشْرَكَ اَوْ نَوْذَكَ او اشْرَكَ بالعبرِ (٤
ومن قدَّس او غمَّس م او شَوْلَسَ بالشعرِ (٥

قلتُ: واغلب هذه الالفاظ لم يذكرها اصحاب المعاجم مع انَّهم ذكروا طائفة منها غير قليلة. امَّا سبب تدوين بعضها واهمال البعض الآخر فما لم اتوفَّق الى كشفه. على اني استغرب هذا الامر وكان الحقّ ان يدوّن الكل او ان يُهمَل الكل. وعندي ان تدوينها خيرٌ من اهمالها. والاسباب كثيرةٌ منها: اوَّلًا ان من هذه الالفاظ ما وجدت بين بني ساسان العرب قبل الاسلام. ومنها ما نشأ في صدره. ومنها ما تولَّد على تراخي سُتُور العُصور. ثانيًا ان كثيرًا من هذه الكلم وردت على السنة الأدباء المتقدمين ممَّن يؤخذ الكلام عنهم — نعم اني لا اجهل ان من المعترضين من يقول: لعلَّ هذه الحروف ليست بعربيَّة بل اعجميَّة محضة او عاميَّة مستهجنة فلا يحسن تدوينها في كُتب اللغة. قلتُ: ألا ترى حروفًا كثيرة دخيلة قد أُودعت بطون الاوراق اللغويَّة أوَ لا ترى جماعة من اللغويين قد دوَّنوا الفاظًا عاميَّة كثيرة. غير انَّهم في كلا الحالَيْن نبَّهوا على منزلتها من الفصاحة وهذا كافٍ لمن يُعنى بامر اللغة ويحرص عليهـا. ثالثًا ان هذه الالفاظ

---

١) (رشَّ) اذا كدَّى بعلَّة ماء الورد يرشُّهُ على الناس. (وذو المكوى) الذي يُبَخِّر الناس. (ودَرْمكَ) اذا باع العطر على الطريق

٢) (المدكّك) الذي يخرج اللوى من الصبيان ويحتـال على من به وجع الضرس حتى يحمل دود الجُبن فيما بين اسنانهِ ثم يُخرجهُ ويوهم انهُ اخرجهُ بالرُقيـة. (وفكَّك) اذا فكَّك السلاسل على الطرقِ. (وبَلْنك) اذا جرَّ الخواتم بالابريسم الرقيق

٣) (من قصَّ) هو الذي يروي الحديث عن الانبياء والحكايات القصـار ويقال لها: الشِبرِيَّات

٤) (بَشْرَكَ) تزيَّا بزيِّ الرهبان وترهَّد. (نَوْذَكَ) اذا كدَّى على انهُ من الحجَّاج. (واشرك بالعبر) اذا قاسم شركاءهُ ما يأخذهُ

٥) (قدَّسَ) اذا اكل الكبد المطحونة المجفَّفة في شهر رمضان خاصَّةً واوهم انهُ يَطْوِي ولا يفطر في الشهر الَّا مرَّةً او مرَّتين. (وغمَّس) من الناموس. (وشَوْلس) من الشالوسة: وهم الزُهَّاد يُكَدُّون بلباس الشعر

الساسانيّة لا وجود لمقابلها في اللغة الفُصحى فاذا كان من الواجب الدلالة عليها فما احقّ بنا ان نقتبسها عن أدباء لغتنا وكتبتها الذين عرفوها واستعملوها وذكروها في كلامهم أوَ ليس ذلك خيرًا من ان نتكلّف لها وضع الفاظ جديدة ؟ فتأمّل

وممّن اشتهر من بني ساسان في عصر الخلفاء قوم آخرون كثيرون . منهم : الأحنف العُكبريّ وهو ابو الحسن عقيل بن محمّد العكبري . قال الشريشيّ في شرح مقامات الحريري (٢ : ٤٩٤) : كان فصيحًا شاعرًا وذكر الصاحب فيه فصلًا وهو : لو انشدتُكَ ما انشدَنيه الأحنف العكبري وهو فرد بني ساسان اليوم في مدينة السلام في الفصاحة وحسن الطريقة في الشعر لامتلأتَ تعجّبًا من ظرفه واعجابًا بنظمه . ومن افتخاره قولهُ :

على اني بحمد اللّـه في بيتٍ من المجدِ
واخواني بنو ساسا نَ اهل الجدّ والجِدِّ (١
لهم ارض خراسان فقسّان مع اللُّدِّ (٢
اذا ما اعوز الطّوفُ على الطرّاق والجندِ (٣
حذارًا من اعاديهم من الاعراب والكردِ
قطعنا ذلك النهج بلا سيفٍ ولا غمدِ
ومَن خاف اعاديهِ بنا في الروع يستعدي

ففي هذا البيت معنى بديع يريد ان ذوي الثروة واهل الفضل اذا وقع احدهم في ايدي العداة واراد التخلُّص قال : « أنا مُكدٍّ » فبنى الحريري هذا الموضع من مقامته (موضع حِيل بني ساسان) على شعر الأحنف واكثر هذه المقامة مأخوذة من مُلَحه

وكان عددٌ عديدٌ من مشاهير الادباء يحفظون شيئًا كثيرًا من لغة بني ساسان واوضاعهم لما كان لهم من السُمعة بين الناس ومن النفوذ الادبيّ على ابناء العصر . ومن هؤلاء : الحريريّ . فانهُ قد نطق ببعض اصطلاحات هؤلاء الاقوام واستعمل شيئًا من

١) ويروى في اليتيمة : باخواني بني ساسان اهل الجدّ والحدّ . والكلمة الاخيرة مصحّفة
٢) وفي اليتيمة : لهم ارض خراسان فقاشان الى الهند . وهو عندي اصحّ
٣) ويروى بعد البيت الثالث : « الى الروم الى الافرنج الى البلغار والسند » . ويُروى : الطَرق بدل الطوف وهو غلط

الناظهم في مقامته الساسانيَّة. ومنهم ايضاً الصاحب بن عبّاد قال في يتيمة الدهر (٣: ١٧٥): « وكان الصاحب يحفظ مناكاة (١ بني ساسان حفظاً عجيباً ويعجبهُ من ابي دُلف وفور حظهِ منها وكانا يتجاذبان اهدابها ويجريان فيها لا يفطن لهُ حاضرهما. ولمَّا اتحفهُ ابو دُلف بقصيدتهِ التي عارض بها داليَّة الاحنف العكبري في المناكاة وذكر المكدّين والتنبيه على فنون حرفهم وانواع رسومهم وتنادر (٢ بادخال الخليفة المطيع لله في جماتهم وقد فسَّرها تفسيراً شافياً كافياً اهتزّ ونشط لها وتبجَّح بها وتحفَّظ كلها (٣ واجزل صلتهُ عليها ». انتهى كلام الثعالبي في اليتيمة

ومن العارفين بلغة بني ساسان: ابو عبد الله الحسن بن احمد المعروف بابن الحجّاج قال في يتيمة الدهر (٢: ٢٨٥): « ولم يُرَ كاقتداره (اي كاقتدار ابن الحجّاج) على ما يُريدهُ من المعاني التي تقع في طرزهِ مع سلاسة الالفاظ وعذوبتها وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة وان كانت مُفصحةً عن السخافة مشوبة بلغة الخُلديّين (٤ والمكدّين واهل الشطارة. انتهى

واعلم ان لغة بني ساسان العرب في هذه الأيّام اي لغة الكاوليَّة في هذه الاصقاع تشبه كل الشبه اللغة المذكورة ولعلَّ كثيراً من الالفاظ المذكورة تجري على ألسنتهم

(ستأتي البقيَّة)

---

١) المناكاة هنا بمعنى رُطينى بني ساسان ولم اجد لها ذكراً في معاجم اللغة التي بيدي وقد سألتُ عن معناها حضرة الشيخ العلّامة واللُّغويّ الفهامه السيد محمود شكري افندي الآلوسي فاجابني: المناكاة احد مصادر باب المفاعلة وهو بمعنى النكاية وقد وقع بين بني ساسان والمسلمين مثلما وقع بين البرامكة وبني العبّاس وما كان من نكاية آل جعفر. فقصود الثعالبي اثبات كمال معرفة ذلك للصاحب وأبي دُلف وكانا ممَّن يشار اليهما في الوقوف على معرفة جميع اخبار الفُرس ايضاً. انتهى بحرفهِ

٢) وتنادر: وحدَّث بالنوادر

٣) وتحفَّظ كلها اي عُني بحفظها او استظهرها شيئاً بعد شيء

٤) الخُلديين وفي نسخة خطيَّة قديمة موجودة عند احد أُدباء بغداد يروى الخالدين وكلاهما فصيح صحيح بني ساسان. وهما مشتقَّان من مادة خَلَدَ أو أَخلَدَ الى الارض: اذا ركن اليها او مال الى الدنيا أو الى السفالة كما هو شأن بني غبراء

كتاب النَّخْل والكَرْم للاصمعي

سعى بنشرهِ وتعليق حواشيهِ الدكتور اوغست هفنر (تابع لما سبق ص ٨٨٣)

كتاب الكرم

عن ابي حاتم السجستاني *

حدَّثنا الحسن بن عليّ الطوسيّ قال: حدَّثنا ابو سعيد الحسن بن الحسين السكّري ببغداد قال: اخبرنا ابو حاتم سهل بن محمّد بن عمر السجستاني قال: قال الطائفي: يقال لشجر العنب الكَرْم والحَبَل (١ والواحدة كَرْمَة وحَبَلَة * فاذا غُرِس الحَبَل اخذتَ ثلث نَوامي (٢ طول كلّ نامية ثلثة اشبار ثم تحفر حفرةً قدر ذراع فتثني النوامي في الارض وتترك منها عينَين عينين. ويقال للعيون الأُبَن (٣ ثم تكبس عليها التراب وتترك لها حُوَيضًا ثم تسقيها طَوفَ القَصَب (والطَوف قدر ما يُسقى القَصَب وهو العَلَفُ الرَّطب) * فاذا كان ابّان غرسهِ الذي يُغرس فيهِ تركتَ (ص ٢٧٠) لهُ فوق الارض عينًا واحدة ثم صرمتَ ما فوقهُ ثم وضعت شَخْطَةً وهو عودٌ من الشجر تفرزهُ الى جَنب القضيب حتى يعلو فوقهُ. فاذا كان العام المقبل حطبتَهُ على طول اربع اصابع ثمَّ غرستَهُ * فاذا بدتْ عيونهُ قيل: قد كَوَّفَ * فاذا رأيت فيهِ الطَّلع قُلتَ أزمَعَ (٤ * فاذا ألتقى قلت: أستَظَلَّ (٥ * واذا

* كذا في الاصل والظاهر انَّ ابا حاتم السّجستاني روى كتاب الكرم عن الاصمعيّ

---

١) الحَبَل شجرة العنب واحدتهُ حَبَلة ويجوز حَبْلة وحُبَلة

٢) النامية جمعها نوامٍ القضيب الذي عليهِ العناقيد وقيل هي عين الكَرْم الذي يتشقّق عن ورقهِ وحبّهِ. يقال أنمى الكرم اذا خرجت نواميهِ (اللسان)

٣) جمع أُبنَة وهي العُقدة في العود او في العصا

٤) قال ابن شميل: ازمعت الحَبَلة خرج زَمَعُها وعظمت ودنا خروج الحُجْنة منها. وقيل الزَّمَعة العُقدة في مخرج العنقود

٥) يقال استظلّ الكرم اذا التفّت نواميهِ

انفتحت عناقيدهُ قلتَ: نَفَضَ. (قال) ويقال عُنقُود وعِنقاد * فاذا فرغ من نَفْضِهِ قيل: حَثِرَ (مخفف) وفَصَلَ (١ * فاذا كَبُرَ حبهُ شيئًا قيل: قد غَضَّنَ وقد أَغضَنَ * فاذا رأيتَ في الحبِّ الماء قلتَ: قد أَرَقَّ (٢ * فاذا أدرك قلتَ: أَيْنَعَ (٣ * فاذا رأيت العود يُلْبَس (٤ والماء قد انتهى قُلْتَ: عَقَّدَ. وذلك حين يُقْطَف * واذا ذبل العنب فهو الضَّمِيرُ فيُنْضَد في الجرين خُصْلَةً خُصلة * فاذا جفّت اعاليه قلتَ: قَلَبَ (٥ * فاذا جفّ كلُّهُ ضُرب بالخشب ثمّ ذُرِي في المكان حتى يُنقَضَ الحبُّ من الثّفاريق (٦. والثفاريق العناقيد الخالية

وقال غير الطائفي: العُمْشُوش العُنقود اذا أُخذ ما عليه. والجمع العَماشيش. وقال بعضهم: لا ينبغي للحَبَلِ (ص ٢٧١) ان يُحطَب حتى يُكسر العود من نواميهِ فترى الماء ينطف منهُ وذلك عندهم التَّوحيم يقال: تَوَحَّمَ (الكَرْمة) * ويقال للمِنجَل الذي تُقطع بهِ نوامي الحَبَل المِحطَب * وللمِنجَل الذي تُقطَف بهِ العناقيد المِقطَف * ويقال القشر الذي على الطُّعم من العنب النَّطْل * وللحبّ الذي في جوف الحَبّة من العنب الحُبَّة (الباء خفيفة) * ويُقال لما بقي من الثفاريق يعني العماشيش اذا ضُربت بالخشب من الزبيب او

١) حَثِرَ الكرم تبيَّن حَثَرُهُ. والحَثَر حبُّ العنقود. وفصلَ الكرمُ ظهر حبّهُ صغيرًا. وفي الاصل خَثِر بالخاء وهو تصحيف

٢) رقّ جلد العنب وارقّ لَطُفَ وكثر ماؤهُ

٣) يَنَعَ الثمر يَينَع ويَينِع يَنْعًا ويُنُوعًا. وأَينَع يونع أدرك ونضج

٤) كذا في الاصل ولعلّهُ «ييبس»

٥) قَلَبَ العنب وأَقلَب يبس ظاهرهُ

٦) قيل الثفروق هو العنقود اذا أُكل ما عليهِ كالعمشوش. وقيل العنقود يُخرط ما عليهِ فيبقى عليهِ الحبّة والحبّتان والثلاث يُخطئها الخالب فتُلقى للمساكين (اللسان)

الحَشَف او الحُمْنان الحُفال (١. وفي غير رواية ابي حاتم قال: قال الخليل بن احمد: الفِرْصِد (٢ حَبُّ الزبيب والعنَب وهي لغة اهل الطائف

(ضروب العنب) قال ابو حاتم: وضروب العِنَب بالطائف الجُرَشيُّ والأَقْماعي العربيُّ والأَقْماعي الفارسيّ والشوكيّ والرَّعْناء والرازقيّ وامّ حبيب والضُّروع والنوَّاسيّ (الواو مشدَّدة) وحَبَلَة عمرو والدوّاليّ والرَّماديّ والشاميّ والغِرْبيب والبَيْضة والأَطْراف والحُمْنان. فامّا (الجُرَشيُّ) فابيض صغار الحب اوّل العنَب ادراكًا (٣ * وامّا (الاَقْماعيُّ العربيُّ) فابيض عظام الحُبَة (بتخفيف الباء) كثير الماء. وامّا (الاَقْماعيّ الفارسيّ) فاعظم حبًّا من العربيّ واقلّ ماءً واكثر شحمًا (٤ * وامّا (الشَّوْكيّ) فابيض قليل الماء نحوٌ من عِظَم الاقماعيّ ينشقّ حَبُّهُ على شجره * وامّا (الرّازقيّ) فابيض داخلته زُرقةٌ طوال الحبّ * وامّا (امّ حَبيب) فسوداء زرقاء تعظم عناقيدها ويعظم حبُّها * وامّا (الضُّروع) فابيض وهو اطول العنب حبًّا واقلُّهُ حُبَّةً * وامّا (النَّوّاسيّ) فابيض مدوَّر الحبّ مُتَسَلْسِل العناقيد * وامّا (حَبَلة عمرو) فبيضاء محدَّدة الاطراف متداخشة (٥ العناقيد * وامّا (الدوّالي) فاسود

---

١) الحُفال بقية التفاريق والاقماع من الزبيب وقشور التمر والحبّ. وحُفالة الطعام ما يُخرج منهُ فيُلْقى من رذالة التمر والحَمْنان ضربٌ من العنب الطائف اسود الى الحمرة قليل الحبّة وهو اصغر العنب حبًّا. وقيل هو الحبُّ الصغار التي بين الحب الكبار

٢) ويقال فِرْصِيد وفِرْصاد وهو عَجَم الزبيب

٣) يُنْسَب الى جُرَش اسم مكان. قال ابو حنيفة: عناقيدهُ طوال وحبُّهُ متفرّق

٤) قال ابو حنيفة: الاقماعيّ عنب ابيض واذا انتهى منتهاهُ اصفرّ فصار كالوَرس وهو مدَحْرَج مكتنز العناقيد كثير الماء وليس وراء عصيره شيء في الجودة وزبيبه

٥) كذا في الاصل وفي اللسان: متداحضة

يضرب الى حمرة عظام الحبّ (١ * وامّا (الرَّماديّ) فاسود اغبر * وامّا (الشّاميّ) فابيض فاذا اينع (ص ٢٧٣) احمار * وامّا (الغِربيب) فاشدّ العنب سوادًا * وامّا (البَيضة) فبيضاء عظيمة الحبّ * وامّا (الاطراف) فابيض طوال دِقاق (٢ * وامّا (الخُمنان) فاسود احمر وهو اصغر العنب حبًّا

وقال غير الطائفيين: حوائط(٣ الأعناب جُذورها وثمائلها(٤ مثل ثمائل الزرع في فراشها(٥ وخَفضها ووقائذها الّا انّهم يحضرون عليها بالشجر ويطلونها حتّى تمنع الناس ان يدخلوها . ويكون في الحائط الأسناد والوَدَفات وهي اوسطهُ . ولا يقال للحائط عَذبة . وموضع العَذبة منهُ يسمّى البَراح . ولا بُدَّ للحائط اذا ما لم تكن له كِظامة (وهي القناة) من ان يكون فيهِ اللُّقج والخُلج والفُلج والثَّعالب في اوسط الحائط واعلاه . ولا بُدّ من القصاب والقِصاب ان يُقطع فيهِ الثمائل وتُبنى بناء عراق الحائط بناءً مُخلخلًا لا يُخلّب بالطين فاذا اراد ان يخرج الماء منهُ فلا تهدم الثمائل . وعِراقُ الحائط اسفلهُ الذي يخرج منهُ الماء الذي يدخل الحائط (ص ٢٧٤) . وامّا اللُّقج فمجرى السَّيل . وامّا (القَصَب) فيُبنى في اللُّقج كراهيةَ ان يستجمع السيل فيوبل الحائط (اي يذهب بهِ الوَبل . والوَبل العظام من المطر) ويهدم عراقهُ *

---

١) حكى ابن سيده عن ابي حنيفة: الدَّوالي عنب اسود حالك وعناقيدهُ اعظم العناقيد كلّها تراها كانّها تيوس مملّقة وعنبهُ جافٌّ يتكسّر في الفم مدحرج ويزبّب

٢) نظنُّهُ يريد العنب المعروف باطراف المذارى وهو عنب اسود طوال كانهُ البلّوط يشبّه باصابع المذارى المخضّبة لطولهِ وربّما بلغ عنقودهُ نحو الذراع

٣) الحائط البستان من النخل او الكرم اذا كان عليهِ حائط وجمعهُ حوائط

٤) الثَّمائل جمع ثميلة قال في اللسان: هي الضفائر التي تُبنى بالحجارة تمسك الماء على الحَرث . وقيل الثميلة الجَدْر نفسهُ . وقيل الثميلة البناء الذي فيهِ الغراس والخَفض والوقائذ وهي الحجارة المفروشة

٥) وفي اللسان: غراسها

واما (الفَلْج) فهي الساقية التي تجري الى جميع الحائط . واما (الخَلْج) فالتي تتشعَّب منه الفَلْج وتسقي الحائط . والخليج الذي يسوق الماء الى الحائط ويتشعَّب منه الفُلُج . فاذا كثر الماء الذي يهيِّئونه لسَقْيِهِ وبلغ الزَّفَر (متحرّكة الفاء) وهو ما يُدعَم بهِ الشجر فتحوا الثعالب (١ السُّفلَى التي في عِراق الحائط . ولا بُدَّ للحائط من ان يُعزَق (٢ في كلّ سنة بالمِعزَقة والمِعزَقة لها شُعْبان يجمعهما رأس واحد فيعترقونهُ حتّى يذهب شجرهُ ويُكرَبَ الحَبَل (٣ وانّما يُعزَق في زمن الحِطَاب والحِطاب حين يجري الماء في العود . فاذا جرى الماء في العود اتوا الحائط فقطعوا الشُّكُر (٤ وهي العيدان فيقطعون ما تيسَّر منها حتَّى ينتهوا الى ما جرى فيهِ الماء . ويسمُّون شجرةَ العنب الحَبَلة ولها شُكُر الواحد شَكِير وهي قضبانها التي في اعلاها * والعَكيسة (٥ التي تَمَسُّ الارض في قضبانها وهي اغلظ من الشُّكُر * فاذا سُئل الرجل عن حائطهِ بعد ما يجري الماء فيهِ (ص ٢٧٥) ويحطبهُ قال : أَفطَرَتْ شُكُرهُ (٦ ثمَّ يقول : أَزغَبَتْ (٧ فكأنَّها اعناق المِهرَة . والمِهرَة افراخ حمام تشبه الوَرَشان فيشبَّه ذلك بزَغب الحمام * فاذا انتشر قيل : قد أَورَق * فاذا جرى فيهِ الماء وزاد قيل : قد

١) الثعلب مخرج ماء المطر من الجرين

٢) عَزَق الارض شقَّها وكَرَبها . والمِعزَقة المَرُّ من الحديد ونحوهِ ممَّا يُحفَر بهِ . وقيل كلُّ ما تُعزَق بهِ الارض فأسًا كان او مِسحاةً او سكَّةً . وقيل هي الفاس لرأسها طرفان

٣) كذا في الاصل . ولعلَّهُ تصحيف يُكرَب اي يُفتَل

٤) قال في اللسان : شُكُر الكرم قضبانهُ الطوال وقيل قضبانهُ الاعالي

٥) العكيس والعكيسة القضيب من الحَبَلة يُعكَس تحت الارض الى موضع آخر

٦) يقال افطر القضيبُ اذا بدا نبات ورقهِ وافطرت الارض تصدَّعت بالنبات

٧) أَزغب الكرم وازغابَّ صار في آبَن الاغصان التي تخرج منها العناقيد مثل الزَّغب

اَغطَى (١ * فاذا صارت لها قُضبان قيل: اَنمَى . ويقال: ما احسن نوامِيَهُ . والنوامي طول الشُكْر وغَطْيها على الدِّعَم (٢ والدِّعَم الخَشَب المعروض على زوافر الحَبَل . والزَّوافر خَشَب يُقام وتُعَرَّض عليه الدِّعَم لتجري عليها النوامي * فاذا التفَّ ورقُهُ وكثرت نوامِيه وطالت قالوا: قد اَغلَى . ويقولون: اَغلُوهُ قبل ان يَغمُلَ حائطكم (٣. والغَمْل ان يَنحَتَ العِنب فيخفّفوا من ورقِهِ فيلقطوهُ * ثم يقولون: قد اَعصَى (٤ اذا خرجت عيدانهُ ولم يثمر وهو حين يكون في العيدان مثل حبِّ الخردل * ثم يقال قد فَصَلَ اذا تبيّن حَملُهُ وكان مثل حبِّ البُلسُن وهو العدس * فاذا عظم فكان مثل الحِمَّص قالوا: قد اَهبَرَ (٥ * ثمَّ يقال للعنب الاسود: قد اَوشَمَ (٦ . وللعنب الابيض: قد اَرَقَ (٧ وذلك حين يلين بعض الهُبَر ولم تَلِنْ كلُّها . ثم يقال: قد اَلمَصَ (٨ وقد شَبِعَ اللَّامصُ (واللامص حافظ الكرم الطائف (ص ٢٧٦) فيه يأخذ هَبرَةً من اَدناهُ وهبرةً من اوسطِهِ وهبرةً من آخرِهِ) * ثمَّ يقال قد اَثلَثَ اي قد فَصَلَ ثُلثُهُ واُكل ثلثاهُ * ثمَّ قد اَشجَنَ وذلك انَّ الشَّجنة وهي الشُّعبة من العُنقود تُدرِكُ كلُّها * ثمَّ يقال: قد اَفضَخَ وذلك حين يفضخونه (٩

---

١) والكرمة الناطية الكثيرة النوامي وهي الاغصان

٢) وهي الدعائم ايضاً

٣) اغلى الكرم (لازم) التفَّ ورقهُ وطالت اغصانهُ . واَغلى الكرمَ (متعدٍّ) اذا خفّف ورقهُ . وغَمَلَ النباتُ اذا ركب بعضهُ بعضاً

٤) وفي الاصل اَعضَى بالضاد . والصواب اعصى اي خرجت عِصيّهُ

٥) اهبر طلع هُبَرُهُ والهُبَر حبُّ العِنب

٦) اوشم العِنب اذا لان وتمَّ نضجهُ وقيل اذا ابتدأ يُلَوِّن

٧) ورقَ ايضاً اي لانَ وقد خصُّوهُ بالعنب الابيض

٨) في اللسان اَلمَصَ الكرم اذا لان عنبهُ

٩) جاء في اللسان: اَفضخ العنقود حان وصَلُحَ ان يُفتَضَخ اي يُعتَصَر ما فيهِ . والفضيخ عصير العنب

ويعصرونهُ * ثمَّ يقولون: اَقطَفَ (١ فيغــدون ويقطفونَهُ ويُطرَح في الرَّحَبة كما يُطرَح الزرع في الجرين (ولا يسمُّون موضع العنب الجرين انَّما يسمُّونهُ الرَّحبة). فمن اراد العصير عصَرَ ومن اراد الزبيب فَرَشَ فاذا فرشهُ تركهُ ايامًا * ثمَّ يقولون: قد ضَمِرَ وهو الضَّمير (٢ وذلك حين يتغيَّر وفيهِ الماء * فاذا يَبِست ظاهرتهُ قيــل: قد اَقلَبَ فيقلبونهُ * ثمَّ يقولون: قد زَبَّبَ (٣ فيرفعونهُ فيسمُّون العنقود الفنا. ويسمُّونهُ الحُصلَة. ويسمُّون شُعبة العنقود الشَّجنة ويسمُّون التي نسمّيها نحن الحبَّة الهُبرَة. وما في جوف الهُبرة الحَبَة (مخفَّفة الباء). وقشرة الهُبرة اذا امتُصَّ ماؤها وبقي حبُّها وجلدها العُثمُرة (٤ * ويسمُّون كرم العنب الذي يُغرَس في اصول الشجر العظام: العَوادي وذلك انَّهم يعمدون الى المكان الكثير الشجر الظليل الذي قد التفَّ شجرهُ (ص ٢٧٧) الذي لا يخلو اصلهُ من الظلّ ولا تصيبُ الشمس ما تحتهُ فيسمُّونهُ الصَّارَّ * فاذا غرسوا الكرم تحت ذلك الشجر نسبوا كلَّ شجرةٍ من الكرم الى الشجرة التي غَطَت عليها (مخفَّفة الطاء) ولا يسمُّونها الحبَلَة كما يسمُّونهــا في الحوائط. ولكن يقولون: عادية العُتمة وعادية العَرعرة وعادية التَّومَــة (٥. ويسمُّون العواديَّ الجُفن (٦. انشد ابو زيد:

---

١) اي حان ان يُقطَف ودنا قطافهُ

٢) الضمير العنب الذابل

٣) زَبَّب العنب وازبَّ صار زبيباً

٤) وفي الاصل النثمرة بالنين

٥) العُتُم والعُتْم شجر الزيتون البريّ. والعرعر شجر جبليّ عظيم لا يزال اخضر لهُ ثمر كالنبق. امَّا التَّوَم فوصفهُ ابو حنيفة بقولهِ انهُ شجر طيّب الريح عظــام واسع الورق اخضر اطيب ريحاً من الآس يُبسَط في المجالس كما يُبسَط الريحان

٦) جمع جَفنَة وهي الكرم وقيل اصل من اصولهِ او قضيب من قضبانهِ

رُبَّ حلمٍ اضاعهُ عَدَمُ المال وجهلٍ غَطَّى عليهِ النعيمُ (١

وقال آخرون من الطائفيين: اوّل ما ينبتُ من الحَبَة نسمّيهِ الحَمْنَة (٢ ما لم تغرسهُ بايدينا فنفرعهُ ثمَّ نغرسهُ ، فاذا غرسناهُ سمَّيناهُ غَرْسًا . فاذا عَلِقَت الغريسة قطعناها من وجه الارض وتركنا اصلها وعروقها في الارض . فاذا قطعنا رأسها دَمَنَّاها بالدِمَن اي اَلقينا على اصلها الدِمَن يعني السَرجين (٣ . فاذا نبت اصلُها ذلك الذي في الارض سمَّيناهُ نَشْئًا (تقديرهُ نَشْعًا) وقد اَنْشَأَت اذا نبتت . ونسمّي الكرمَة الحَبَلَة وقضبان الحَبَلة الطوال الشُكُر (الواحد شكيرٌ) . والقضبان القصار التي فيها العنب هي الحَجَنُ والنوابي (الواحد حَجَنة ونامية) والنامية شُعَب الشكير فيها تخرج المناقيد . فاذا همَّ العُنقود ان يخرج تعظُمُ (ص ٢٧٨) الزَّمَعة فهو زَمَعةٌ حينئذٍ . وقد اَزْمَعت الحَبَلة اذا ما عظمت زَمَعَتُها ودنا خروج الحَجَنة . والحَجَنة والنامية شُعَب الشكير . وقد ازمعت الحَبَلة ببنائق . والبَنِيقة ان تعظم الزَّمعة فاذا عظمت سمَّوها بنيقةً * وقد اَكْمَحت الزَّمعة اذا اباضَّت وخرج عليها مثل القطن فذلك الإِكْماح . وقال الجوهريّ : اَكْمَح الكرم اذا تحرّك للإِيراق

والعنب اوّل شيء يخرج منهُ ان تَعْظُم الزَّمعة فاذا عظمت جدًّا سمَّيناها بنيقةً ثم يكون حَثَرًا ثمَّ (٤ يكون غُصنًا (٥ وذلك اوّل ما يعقد فلا يزال غصنًا

---

١) البيت لحسَّان بن ثابت . وغَطَى عليهِ النعيمُ اي الْبَسَهُ وسترهُ . ويروى : وجهلٍ غطَّى عليهِ

٢) الحَمْنَة الحبّ الصغير كالحَمْنان وقد مرَّ

٣) معرّب سركين الفارسيَّة ومعناها السواد

٤) الحَثَر حبُّ العنقود اذا تبيَّن . وقيل هو من العنب ما لم يُونع وهو حامض صُلب لم يشكل ولم يتموَّهْ (اللسان)

٥) ومنهُ اَغصن العنقود وغصَّن اذا كبر حبّهُ شيئًا

حتَّى يأخذ في النَّضج ويُرى فيهِ السواد . فيقال: قد ارقَّ للابيض اذا رقَّ حبهُ واخذ فيهِ النَّضج وللاسود: قد تشكل (١ بسواد اذا ما اسودَّ بعضهُ . (قال واوَّل ما يخرج من العنب نسمّيهِ ثمرًا . وقد يَنعَ العِنَب . اذا ادرك ويُقال قد أينَعَ ايضًا * والذي يتعلَّق بهِ العِنَب بالشجر يسمَّى الاساريع . واساريع العنب شُكُرٌ تخرج في اصل الحبلة وربَّما أُكلت رطبةً حامضة والواحدة أُسروع * وقشر الحَبلة يسمَّى القِرف (٢ والحَبَّة اذا نبتت كانت صغيرةً قمِيئةً وجاءت (ص ٢٧٩) عيدانُها جعدةً من العطش او غيرهِ قيل انها خَدَلَة * وربَّما كان العنب جابذًا وقد جَبَذَ يَجبُذُ اذا كان صغيرًا مشقَّقًا وقفَّ ورقهُ * وتقول انهُ لَمحيل وربَّما حوَّل العنب اذا ما اثمر في عامٍ واحال في الآخر * وعِنب معوَّم اذا ما حمل عامًا وقلَّ حملهُ عامًا * والعِنب يُقطَع كلَّ عامٍ شيءٌ من اعاليهِ فنسمّيهِ الحطَّاب وقد أُستحطَب عِنَبكم (٣ واذا قطعوهُ قيل حطبوهُ (التتمَّة لعدد قادم)

مدة حياة الانسان

خطاب للدكتور حبيب افندي درعوني القاهُ في غرفة القراءة

ايها السادة

انّني عملًا بقولهم « الامتثال خيرٌ من الادب » تروني قائمًا بما نُدبت اليهِ من شرف التكلّم في ناديكم الكريم . وجئتُ ببضاعتي اعرضها عليكم على غثاثتها علّها تنال رعايةً وقبولًا

---

١) قال في المحكم شكَّل العنب وتشكّل اسودَّ واخذ في النَّضج
٢) واحدتهُ قِرفة وجمعهُ قروف . والقرف لِحاء الشجر
٣) اي احتاج ان يُقطع شيءٌ من أعاليهِ

وقد فكَّرت في انتقاء موضوع يكون لهُ من الاهمية العلميَّة ما هو حريٌّ بالبحث في مجلس ضمَّ نخبة العلم والادب ومن الفائدة العمليَّة ما يشفعهُ في سماعكم ورضاكم فبعد الاجتهاد في استيفاء هذه الشروط يخال لي اني وجدت ضالَّتي في مغزى هذه الحكاية

١

يحكى ان شيخًا حطَّابًا كان يحطب ذات يوم في احد الاحراج فاذا بهِ خطر على بالهِ ضنك عيشهِ وذلَّة حالهِ وتذكُّر المشقَّات التي قاساها في زمانهِ فعظم عليهِ الامر وسئم الحياة وثقلت عليهِ وطأةُ اكدارها. فبعد ان حمل حطبهُ وسار في طريقهِ مناجيًا نفسه بما نالهُ في عمرهِ من مرارة الحياة وحزازاتها اتكأ على صُفَّة يستريح. ثم أنَّ وتحسَّر والتحسُّر من طبعهِ يختشر الاشجان. فثارت في فؤادهِ عاصفةُ الاحزان. واسودَّت الحياة في عينهِ لانَّها لم تذقهُ من لذتها طعمًا. فصرخ بصوتٍ فيهِ رنَّةُ الغمّ وأنَّةُ القنوط: اليَّ يا موت يا موت اين انت. قيل فحضرهُ ملاكُ الموت مناديًا: يا شيخ لبيك هاءنذا بين يديك. امَّا الشيخ وقد رأى ان في الامر جدًّا فخالجهُ الجزع واخذهُ الحرص على حياتهِ فأجاب ملاك الموت متلجلجًا واجفًا: انَّما دعوتك لتساعدني على النهوض بحملي لا لتأخذني

ذلك مثلٌ يبيّنُ انَّ حياة الانسان وان كثرت مصائبُها وشقَّت متاعبها لا يسأمها الانسان الَّا نادرًا ولا تطيب نفسهُ بالانتحار الَّا اذا اعتراه ضربٌ من الجنون. ولو أُتيح لهُ الخلود في هذه الدنيا لما كرههُ ولو لقي فيها الامرَّين

وإذا الشيخ قال أُفٍ فما ملَّ م الحياةَ ولكن الضعفَ ملاَّ

كثر اشتغال البشر في إطالة الحياة وسنُّوا لذلك قوانين كثيرة قرَّبت من الحقيقة وحقَّت نتائجها بتقدُّم العلم وانكشاف مكنونات الطبيعة حتى انهُ قد ثبت من احصاءات الدول السنويَّة ان الذين يراعون هذه القوانين تطول حياتهم. ولمَّا كنَّا نحن عرفنا اشخاصًا خلَّفوا جيلًا او خاصروهُ فضلًا عمَّا نقرأهُ في جرائد الاخبار من وقتٍ الى آخر عن بعض المعمَّرين اغتنمنا ذلك برهانًا حيًّا يؤيد بعض خواطر نبديها في مدة حياة الانسان فنبيّن ان الانسان يمكنهُ ان يعيش عمرهُ الطبيعي وان هذا العمر الطبيعي مدتهُ مئة وعشرون سنة وهو محدودٌ حدًّا طبيعيًا وان الانسان اذا استجمع اسباب الوقاية وعمل بموجبها

يمكنهُ ان يعيش خاليًا من الامراض . لانَّ الموت من شأْنهِ طبعًا ان يكون انحلالًا طبيعيًا لا مَرَضيًا رغمًا عمَّا نراهُ في الغالب منافيًا لهذه القاعدة . لان الانسان منذُ اطرَّت بهِ شهواتهُ على المنكرات واتت عن يدهِ المعصيات اخلَّت اعمالهُ هذه بنظام الطبيعة فاصبح الشاذُّ قاعدةً والقاعدة شذوذًا . على انهُ لو جرى الانسان على الناموس الطبيعي وجعل قطب حركتهِ الحيويَّة في دائرة الادبيَّات والصحيَّات لطالت حياتهُ حتى تنفد مؤنة حركتها الطبيعيَّة وهو يقضي اياماً سليمةً لا تشوبها العلل والامراض اللهمَّ اذا استوفى شروط الوقاية وكان جسدهُ خلوًا من كل شائبة إرثيَّة . وغير خافٍ ما في هذه القضيَّة من الفائدة فانَّها اذا تقرَّرت بالحجج وقامت على اعمدة البرهان تتخلَّص منها الى نتائج عمليَّة بعيدة المرمى في صون الحياة وحفظها من قارعات الحدثان على قدر ما يسَّر الله لنا في هذا العالم الواسع البديع من الذرائع والوسائط

٢

من سرَّح الطرف في تاريخ الطبّ وكيفيَّة نشأَتهِ وتقصَّى اسباب اختراع اصولهِ الاولى وتحصَّل من الاطلاع على كتابات ابي الطبّ ان احسن ما كان يعرفهُ ابقراط انما تأْثيرات التغذية والسكن وانواع المعيشة على الجسم الانساني وانهُ اي بقراط كان قلَّما يعلمُ اعمال الجسم الحيوية أدرك اذ ذاك كيف انهُ يعزو لاغلب الامراض التي ذكرها اسبابًا خارجيةً ويعللُ عن توليدها بتأْثيرات طرأت على الانسان من جوارهِ مثل البرد والحر وتغيُّر المناخ الخ . هذا واذا وقف على مبادئ الطبّ الحديث معما توصَّل اليهِ العلماء وعلى الخصوص في العصر هذا من الاكتشافات الفيسيولوجية والمرضيَّة . ثم قابل بين معرفة اليوم الطبيَّة ومعرفة ذي قبل فانهُ يجد ولا بدع بونًا لا يُسبر وتقدماً يذهل المتأمل . من ذلك اكتشافات حديثة غاية في التدقيق خصبةٌ في نتائجها غريبةٌ في بابها بعيدة في مرماها اخذت اليوم مقاماً خطيرًا في بحث الامراض ومنذ شمَّر باستور عن ساعد الجدّ وجرَّد ذكاءهُ للتحرّي والاستقصاء لقد اماط النقاب عن عالمٍ جديد لا يكاد يخطر على بال احدٍ من قبلهِ فعُرفت اسباب الاوبئة وكيفيتها وأُدركت الامراض العدوية في كنهها وجوهرها

وتبيَّن لناظرنا ان ما وجدوه من الجراثيم الدقيقة التي لا تُدرك الَّا بالنظَّارات المعظِّمة وسموها ميكروبًا هي اعداء ألدَّاء للانسان . اذا وقعت عليهِ اوقعتهُ في ورطات

العلل والامراض فترتب علينا من ثم ان نصطنع لها سلاحاً ندفعها به ونردها على الاعقاب. ومن يوم اتضح امر الميكروب عرفنا نواميس العدوى واختبرناها واتسع نطاق بحث الوقاية من شرها

ثم اننا اذا اعرضنا هنيهة عن تقلب الميكروب وسيره في معرجات الجسم وقطعنا النظر عن الطوارئ المرضية المتسلطة على الاعضاء وبحثنا عن السبب الاول في اعتدال الصحة وجدناه غالباً بل دائماً خارجياً كما لاحظ ابقراط. فينتج من ذلك ان الامراض ليست بضرورية للجسم من حيث تركيبه بل انها نتيجة عوامل خارجية بنوع انها اذا دفعت تسنّى للانسان ان يعيش سليماً سالماً ويصبح موته انحلالاً طبيعياً بنفاد القوة الحيوية التي أعطيها الجسم الانساني أسوة بكل جسم آلي حيواناً كان او نباتاً وبكمية محدودة حداً طبيعياً بنسبة معلومة كما سنبين

٣

يكفّن بعضنا بعضاً ويمشي اواخرنا على هام الاوائل

لقد سبق قولنا بان الانسان يضنّ بحياته لا يألو جهداً في صونها والذود عنها. تلك خاصة كل حيوان تعرف بغريزة المحافظة هي التي تستفزه للدفاع عن حياته والذب عنها من الاخطار ونوازل الايام فتراه يجمل معظم عزائمه وراء هذه الغاية ويشتغل كيفما قدر لتطويلها غير ان تلك العزائم كثيراً ما تقصر عن ادراك المراد منقلبة الى الخيبة والفشل امام حكم ابرمه الله فكان مطاعاً. اما الجنس البشري فقد اهتم في كل اين وآن ان يفك هذه العقدة التي عالجها كل من الشعوب حسب استعداده فتوهم المصريون انهم وقفوا على الدفينة باستعمال المعرقات والمقيئات وسنّ ابقراط في ذلك عيشة مرتبة وهواء نقياً والاستحمام وترويض الجسم. وقال بلوتارك: عليك ببرودة الرأس وتدفئة الرجلين وتسهيل الباطنة فيكون لك طول الحياة. ثم جاء القرن المتوسط فجمح في غوايته وأتى على هذا الموضوع بترّهات صحاحح اذ تعلّق بخرافات تضحك اولاد هذا العصر منها مفعولات الكواكب والكيميا والاكسير الى غير ذلك من هذه الاحاديث. ولما ان حام فوق مخيلتهم طائر الاوهام بدا لهم ان اخترعوا نقل الدم من حيوان الى آخر وأخذوا يطنطنون حول هذه العملية انها تهزم الموت وتحيي الانسان بل انها تغير طباعه وخصاله وقد بلغ اقتناعهم في هذا الوهم الى ان اخذوا يعالجون الجبان

باعارته دم الاسد والغضوب بدم الحمل وابروا في عروق الهرم دم الشباب فكان من ذلك ان هُرقت دماء ونُقلت دماء فبقي الجبان جبانًا والغضوب غضوبًا والهرمُ يئنّ تحت وقر سنيهِ والشيب يعبث فوق ثنايا جبينهِ ولو فطنوا لوجدوا في كثرة هذه الوسائل وتعدُّدها لاطالة الحياة احسن دليل على بطلانها

فلم يبقَ لنا والحالة هذه الَّا ان نقرَّ بضعفنا وان ساءنا هذا الاقرار لنعلم يقينًا ان الموت مصيرنا والحياة زائلةٌ لا تدوم الَّا زمانًا. ولكن ما هي مدَّتها يا ترى. تلك الضالَّة التي ننشدها والسؤَال الذي نسعى في الجواب عنهُ. وبادئ ذي بدء لا بدَّ لنا من حصر المسألة بافرازها عمَّا يدعُ بابًا للالتباس وعليهِ فلا نبحث هنا عن مدَّة الحياة التعديليَّة ولا عن مدَّتها العاديَّة بل عن مدَّتها الطبيعيَّة وان سألت ما الفرق بين هذه المدَّات الثلث قلنا انَّ المدَّة التعديليَّة هي عبارة عن معدَّل حياة اهل بلدٍ معلوم من الطفل الذي لا يرى النور الَّا ساعةً الى الشيخ الذي يستوفي حظَّهُ من الحياة. وذلك بان تجمع زمن هذه الاعمار وتقسمهُ على عدد السكَّان. امَّا المدَّة العاديَّة فهي الزمان الذي يعيشه كلٌّ من تخلَّص من اخطار الشبيبة ونشط من ملمَّات الرجولية وتوصَّل الى الشيخوخة. وكلتا المدَّتين خارجة عن بحثنا

امَّا الحياة الطبيعيَّة وهي التي نحن في صددها فهي التي جعلها الاله في النوع الانساني بنسبة تركيبهِ الحيواني وجهَّز لها اعضاء ووظائف تخدمها حتى تنفدَ قوَّتها وتخمدَ حركتها. ومدة هذه الحياة كما قلنا مئة وعشرون سنة. فاذا اعتبرنا مثلًا رجلًا خلَّف لهُ ابواهُ صحةً جيدةً وبنيةً قويَّةً وافترضناهُ ذا مزاج توسَّط بين العصبي والدموي والليمفاوي ينقاد لسنن الصحة لا يسرف في استعمال قواه العقليَّة والمادّيَّة ولا يداهمهُ في سياق عمره آفةٌ او نائبةٌ تعطبه فذلك الرجل يمكنهُ ان يعمّر العمر الطبيعي صابرًا على كرور مئة وعشرين سنة او اكثر. نعم ان وجود انسان بتلك الصفات من النوادر المذكورة الَّا انهُ ليس من المستحيل ويجدر بنا ان نعتبر عمرهُ طبيعيًا واليك بيان ما تقدَّم

٤

قال ارسطاطاليس: لكل شيء بدء ووسط ونهاية. اما بدء الانسان او الشطر الاوَّل من حياتهِ فهو الزمن الذي يأتي بهِ للوجود ويأخذ بالنشوء ويدعى الشبيبة.

ووسطها استمرار الانسان بعد نشوئهِ في حال القوة والنشاط وهو سنّ البلوغ او الرجولة . امّا الشطر الثالث فهو تقهقر الانسان شيئاً فشيئاً حتى يطارد نهاية عمره ويعرف بالشيخوخة

وحيث ان كلَّ شيء في الطبيعة يجري بحسب نواميس مقرَّرة وينقاد لترتيب بديع في المخلوقات كان لا بدَّ من وجود نسبةٍ وانتظام ما بين هذه الشطور الثلاثة للحياة فكل حيوان ينشأ ويبلغ حدَّ نموّهِ في زمن قصيرٍ يكون عمره قصيرًا . وتزيد هذه الحقيقة وضوحاً اذا نظرنا الى ما يجاورنا من الكائنات فنرى فيها مصداق تلك القاعدة. ومثل الحيوان في هذا المعنى مثل البناء. ان قصدت ان تجعلهُ عظيماً متيناً صابرًا على كرور الايام فانك تجعل لهُ اساساً عميقاً معززًا بالقوائم والدعائم . فاذا احدٌ منّا اجال الطرف في آثار بعلبك فانهُ لا شكَّ يتأثر لمرأى تلك الانقاض العظيمة الشأن وتحدثهُ البصيرة ان هذا البناء قائم على أُسس تعادلهُ عظمةً ومتانة . ثم اذا انثنى راجعاً فمرَّ بالقرى المجاورة ونظر حيطانها المتداعية فانهُ يتأكد برأي العين ان تلك الحيطان ليست الّا طيناً مدكوكاً لا اساس لها وعلم بلا استجهاد انها عن قريب تتهدَّم وتنحلّ

وان كانت مصنوعات الانسان جرت على هذا النظام فما احرى الطبيعة به وهي الانموذج والمثال فانّا اعتبرنا من الحيوان او النبات وقابلنا بين مدَّة نموهِ ومدة حياتهِ نجد نسبة ثابتة بين هاتين المدتين فيكون العمر طويلًا اذا طالت مدة النمو وقصيرًا اذا قصرت . مثالهُ ان الكلب ينشأ في مدة ثلاث سنين ومعظم عمره يكون خمس عشر سنة . امّا الفيل فلكون نشوئهِ يستغرق اربعين سنة تراه يعيش ما ينيف على المئتي سنة وقس على ذلك كل الحيوانات بل كل الكائنات الحيَّة

واذا ثبت ما تقدم وتقرَّرت النسبة بين مدة النشوء ومدة العمر بقي علينا ان نبحث كم تدوم مدة النشوء في كلّ جنس حيواني حتى اذا عرفناها تخلصنا لمعرفة مدة العمر ومرجعنا في ذلك الى علم التشريح

٥

ان العظام التي من مجموعها يتكون الهيكل الحيواني قبل ان تكون صلبةً متينةً كما عند البالغ قد تكون في بادئة الامر عند الجنين لدنةً مرنةً مركبة من مادةٍ تسمى غضروفاً . وفي ذلك الغضروف ثقوب ما لها عددٌ لا يتناولها رأي العين الّا

بالجهر وفي هذه الثقوب ترشح رويدًا مادةٌ كلسيَّة هي التي تقوّم العظم وتصلّبهُ وقد يبدأ ذلك الارتشاح في ثلاث نقط من العظم ووسطهِ وطرفيهِ لذلك ترى في مدة التعظيم اجزاء تصلّبت واخرى لم تزل رخوةً غضَّة. غير انهُ لا يتم الامر حتى يتحوَّل الغضروف عظمًا ولم يبقَ منهُ الّا قرصٌ غضروفي يصل بين طرف العظم واوسطهِ واذا ما عظم ذلك القرص يقول اهل التشريح: التحم الديافيز الى الابينيز او بعبارة عربيَّة. التحم وسط العظم الى طرفيهِ. واذا تم ذلك تم زمن النشؤ ودخل سنّ البلوغ وما دام هذا القرص في حالته الغضروفية يكون دليلًا على ان البلوغ لم يتمّ بعد وقد راقب العلماء مثل بوفون وفلورنس اعمار الحيوانات على اختلافها فقرروا بعد اللاحظات المتعددة والابحاث المدققة انهُ توجد نسبة معلومة بين مدة النشؤ ومدة الحياة. فاذا فتشنا على هذه النسبة في ذوات الثدي نجدُ ان هذه الحيوانات يتم نشؤها في زمن يعادل خُمس عمرها اعني بذلك اذا كان معظم عمر الحيوان عشرين سنة فيكون قد تم نشوءُهُ في السنة الرابعة من عمرهِ (اي خمس عمره) وبعكس العبارة اذا الحيوان اتمَّ نشوءَهُ في مدة اربع سنين فيكون معظم عمره عشرين سنة مثاله:

	معدَّل الحياة		مدة النشؤ
الحصان	يعيش	من ٢٥ الى ٣٠ سنة	٥ سنين
الحمار	〃	٤٠ 〃	٨ 〃
الخروف والكلب	〃	١٥ 〃	٣ 〃
الثور	〃	من ٢٥ الى ٣٠ 〃	٥ 〃
الجمل	〃	من ٤٠ الى ٥٠ 〃	٩ 〃
الفيل	〃	٢٠٠ 〃	٤٠ سنة
الهرّ	〃	من ١٠ الى ١٥ 〃	٣ سنين
الاسد	〃	من ٢٠ الى ٢٥ 〃	٧ 〃

الى غير ذلك من الامثلة التي كلُّها اذا استقصيناها تجري على هذه القاعدة. واستنادًا على هذه القاعدة نفسها استنتجنا والنتيجة بسندعمها بالبرهان ان الانسان بما انهُ يُتمّ طور نشوءِ عادةً في الرابعة والعشرين من عمره قد يكون عمره الطبيعي مئةً وعشرين سنة (اي خمس مرَّات اربعة وعشرين) جريًا على الناموس الآنف الذكر. وذلك اوَّلًا: لان الانسان من حيث جسده حيوان. واذا صرفنا النظر عن النفس أضحى الانسان والحيوان سيّين. اذ لكليهما جسمٌ واعضاء لا يفرق بينها سوى شكلها

ومركزها . وكلاهما يُبديان اعمالاً ووظائف متشابهة مثل التغذية والحركة والتناسل الخ. ولما كان كذلك كان من البديهيات ان جسم الانسان ينشأ مثلما ينشأ الحيوان وهذا هو الواقع . والحال قد ثبت بالاختبار ان المدة التي بها يتكامل نمو الحيوان تعادل خمس عمره فاذاً كذلك الانسان وحيث ان مدة نشوءه تدوم اربع وعشرين سنة فاذاً يكون عمره مئة وعشرين سنة

ثانياً : اذا كان يموت الانسان غالباً قبل آنهِ ويزول شخصه قبل زمانه فذلك بسبب الامراض والعاهات وما تلك بيتة طبيعية كما نوّهنا . ان هي الّا قهراً واغتصاباً . شوّشت حركة الحياة وابطلتها قبل ان تأتي على آخرها . على انهُ لو لم تنهكها العلل لاستمرت تطوي نهجها المخطوط وتنفق من قوتها الحيوية ما يساعدها على قطع مراحل العمر الطبيعي :

والعمر يسير مسير الشمس م فليس تقرّ لهُ قدمُ
قدمان لهُ يسعى بهما فضحىً ودجى ضوءٌ ظلمُ

ثالثاً : نقرأ في الكتاب المقدَّس ان البشر كانت تعيش تسعمائة سنة ونيفاً . فمن ثم ما عاد يغرب قولنا بان العمر الطبيعي مئةٌ وعشرون سنة . نعم ان كثيرين حاولوا نقض هذا التصريح بحجج واهنة ردَّ عليها ردًّا شافياً في المشرق (٤ : ١٠٥٢) حضرة الفيلسوف العلّامة المنسنيور يوسف العلم . وازيد على قول سيادته اني اقيس التعليل عن اعمار الآباء الطويلة بنفس القاعدة التي بيَّنتها في هذا البحث باعتبار ان اجسام هؤلاء الآباء الأوَّلين كانت قويَّة البنيان حتى انها اقتضت زماناً طويلاً لاتمام نشوئها منها مئة سنة للذين عاشوا خمسمائة . ومئة وثمانين للذين عاشوا تسعمائة الخ . وهذا تعليل لا ينافي القول بان الله تعالى قد وهبهم هذه الاعمار الطويلة حتى يتمكنوا من تكثير النسل في بدء العالم لا بل يدعمهُ ويعلّل عنهُ علمياً لان الله سبحانهُ وتعالى خالق كل شيء بحكمة ونظام بديع وجعل لكل من مخلوقاته نواميس عجيبة هي مرامي العلم وما قوام العلم سوى باكتشاف هذه النواميس واستخدامها

رابعاً : اعظم برهان يجدر بنا ان نورده في تبيان ما نحن في صدده انما هو وجود كثيرين من الذين حلّقوا المئة من عمرهم وامثلة المعمّرين كثيرة لو اردنا احصاءها لطال بنا الكلام فنكتفي بان نحيل القرّاء الى المشرق في الصفحة ١٩٠ من السنة

الجارية حيث ذُكر عدد المعمّرين الذين اربى سنّهم على مئة سنة وهم لا يقلّون عن ٧١٨ عددًا في هذا العام بلغ عمر الواحد منهم ١٥٠ سنة اسمهُ برونو كوتريم من اهل ريو دي جانيرو. وقد عرفتُ انا ذاتي شيخين جازا المئة من سنّهما وقد اكل عليهما الدهر وشرب. تلك شهادات حيّة لا سبيل الى ردّها. بل تصرح بلسان حالها ان الانسان يعمّر مئة وعشرين سنة لولا اسرافهُ في مادة حياته

وربّ مستفهم يسألني لماذا عاش بعض المعمّرين اكثر من الحدّ المعيَّن بمقتضى القاعدة التي شرحتها. على ذلك أُجيب ان هذه الامثلة تزيد بيانًا وتقريرًا لقاعدتنا لانهُ ورد في علم التشريح بعض امثلة عن أُناس لم يتمّ نشوءهم الّا في الثلاثين او الخامسة والثلاثين من عمرهم فلا بدّ ان الذين عاشوا مئة واربعين او خمسين سنة كانوا من الذين اتمّوا نشوءهم في الثلاثين من عمرهم وغير خافٍ ان هذا الشذوذ يؤيّد القاعدة العمومية التي اسهبنا في بيانها وهي ان تمام النشوء يتمّ عادة في الرابعة والعشرين

ومن قائل: اننا اذا اعتبرنا الجسم من حيث ظواهره وبنيته الآلية شابه بعضنا بعضًا والناس اجمعهم مفطورون على مبادئ واحد. فان كان ذلك كذلك لِمَ لا نعيش زمانًا واحدًا ولماذا لا نستوي في الاعمار؟

السبب في ذلك اننا لسنا وحدنا في هذه الدنيا وان حياتنا محصّل اعمال التغذية والنموّ وتلك الاعمال تحدث علاقةً ضروريَّةً بيننا وبين ما يجاورنا من العناصر والكائنات التي اخصّها الميكروبات. فتقوم اذ ذاك سوق حرب يعبّرون عنها بتنازع البقاء. ولا يخفى ان هذا التنازع يؤثر آجلًا او عاجلًا في اعمال التغذية فيزعزعها على التمادي ويُدخل الخلل في حركتها. ثم ان الناس قلّما ادركوا وسائط حفظ الصحة ووقايتها وقلّما عملوا بمقتضاها فتراهم لا يتجنبون اسباب الامراض بل يتسارعون اليها كالباحث عن حتفه بظلفه. واليك مثلًا يبيّن لك الاختلاف في الاعمار: الانسان كالسراج فان كان زيتهُ جيدًا كافيًا والفتيل غير ممتدّ والهواء ساكنًا فانهُ يضيء ويُنير ويرشف الزيت على مهل ولم تخبُ انوارهُ حتى تفرغ مادتها فيطفأ السراج. امَّا اذا كان الزيت معكّرًا والفتيل ممدودًا والريح قاصفة فامّا ان يكون ضوء السراج ضعيفًا وامّا انهُ يشتعل في مدةٍ قصيرة او ان تطفئهُ الريح. ذلك مثل الحياة: كل انسان قد أُعطي منذ

مولده من زيت الحياة كميّة تبلغهُ الى حدٍ معلوم. فمنهم من خلف لهم ابواهم صحّة جيدة وبنية حسنة ومنهم من ورثوا عنهم الامراض والهزال فتكون من ثمَّ قوة الحياة متباينة عن كل فريق. ولمَّا كان الاولاد صورة الآباء يشابهونهم بعض المشابهة في صفاتهم الجسدية والادبية واستعداداتهم المَرَضية كان التناسل احد الاسباب المؤثرة في مدة الحياة. وليس احدٌ الَّا ويعلم ان عيالًا كثيرة عُرفت بطول العمر او بقصره. ومن غريب ما حُكي من النوادر التاريخية ان الاسقف درمنياك مرَّ في بعض الشوارع سنة ١٥٥٤ فصادف شيخًا عمرهُ احدى وثمانون سنة يبكي على باب بيته فسألهُ المطران عن داعي بكائه فاجابهُ: قد ضربني ابي. فعجب الحبر من هذا الولد الكبير وطلب ان ينظر اباهُ فاتوا بهِ وكان قويًّا ولهُ من العمر مئة وثلاث عشرة سنة فحادثهُ المطران ثم سألهُ لاي سبب ضرب ابنهُ. قال: ضربتهُ لانهُ مرَّ من امام جدهِ ولم يسلّم عليهِ. فزاد المطران اندهاشًا وطلب ان يذهبوا به الى الجد فاذا بهِ هرم قد برى الزمان عظمهُ وهو في المئة والاربعين من سنيهِ

ثم ان الولد امَّا ان يعيش في مكانٍ طيّب المناخ نقيّ الهواء وامَّا يعيش في المدن الآهلة الفاسدة الهواء فتفسدُ بنيتهُ وتهبّ عليها عاصفة التمدُّن فتجعف قواها وتهزلها

ثمَّ انهُ يشبّ فتشبّ في قلبهِ نيران الاميال والشهوات وتزيغ به اهواؤهُ عن منهج الفضيلة ويرتطم في اوحال الملذَّات وتلك الاعمال كأنها لا بدَّ لها من نفقات فيستنزفها الانسان من مادته العصبية فيحصل لها ما يحصل لسراج زيته عكر وفتيلتهُ ممدودة والريح تهبّ عليهِ . ثم زد على ذلك مفاعيل الصناعة او الحرفة التي يزاولها ذلك الشاب فتكتشف سببًا جديدًا في انهيار جُرف حياتهِ

ولمَّا كان الانسان قائمًا باقتران النفس والجسد كانت الانفعالات النفسانيَّة من اعظم العوامل في نقض الحياة لذلك ترى الغضب يهضم الجسم والحزن يُنحلهُ وسورة الهموم تسقمهُ. وعلى خلاف ذلك راحةُ العقل والسكينة فهي تمدّ في العمر وتزيدهُ كما ترى في الرهبان والمتزهدين

ثم ان الغذاء اذا كان غثًّا وغير كافٍ لتعويض دثور الجسم يقوى الخارج على الداخل فتصبح نفقة الاعمال الحيوية من مادّة الجسم نفسها فيأخذ في القهقرى ويبيد في زمنٍ قريب الى غير ذلك من الاسباب التي يستغرق تفصيلها زمانًا طويلًا وقد وعدنا في

صدر بحثنا اننا لا تريد طمعاً في حلمكم فنكتفي بالالماع

وبالنتيجة ان الحياة لها حدٌّ طبيعي يختلف في كل جنسٍ حيواني بنسبة مدة نشوءِهِ وهي عند الانسان مئة وعشرون سنة كما بيَّنَّا. وفي الختام اتمنَّى لكلٍ من الحضور ان يعيش عمره الطبيعي او انهُ على الاقل يسعى لذلك بانتهاج طريق الادبيات والصحيَّات متذكرًا قول من قال:

ما انت الَّا كزرعٍ عند خضرتهِ بكل شيء من الآفات مقصودُ
فان سلمتَ من الآفات اجمعها فانتَ عند كمال الامر محصودُ

مقالع مصر ومعادنها *

نظر في تركيب ارض مصر الجيولوجيّ للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ

تُقسم مصر من حيث سطح ارضها الى ثلاثة اقسام كبيرة معروفة الحدود وهي مصر السفلى وتدعى بوادي النيل والدلتا تتركَّب من تربة جُرَفية تُدعى الابليز وهو طين اسود لزج تأتي بهِ مياهُ النيل من بلاد السودان. ثمَّ شرقًا تعانيق الصحراء العربيَّة وسهولها المرتفعة الممتدَّة فوق جبالٍ عالية الى بحر القلزم. ثم اخيرًا أنجاد صحراء لبية الفسيحة المتَّصلة غربًا بافريقية الوسطى. وبين هاتين السلسلتين الجبليَّتين وادي نهر مصر الكبير تراهُ محصورًا في اعلاه عند اسوان. ثم ينفرج شيئًا فشيئًا وتنبسط بقاعهُ الخصبة على ضفتيهِ ولا يزال الجبلان في تباعد حتى اذا بلغ النيل اسافل مصر تشعَّب

---

* راجعنا لكتابة هذه المقالة الكتب الآتية: Description de l'Egypte, par les savants de l'Expédition française. *Paris, Imprimerie royale*. 1818. — Archéologie Egyptienne, par G. Maspero. *Paris, Quantin*. 1887. — L'Egypte par G. Ebers. traduction de G. Maspero. *Paris, Firmin Didot*, 1880. — Géographie universelle, par E. Reclus, *Tome. 10. Paris, Hachette* 1885. — Promenades archéologiques, par G. Boissier. *Paris, Hachette* 1901 — Revue d'Egypte, *Caire, Imprimerie nationale*; passim. — Bulletins archéologiques et Guides divers.; passim. — Auteurs anciens cités dans le texte : Œuvres.

بغتةً على شبه مروحة وانصبَّ من عدّة فوَهات في البحر المتوسط

اما صحراء ليبية فتتركَّب من قطع ارض مستطيلة منفسحة من الجنوب الى الشمال تمتدّ من النوبة الى البحر وعناصرها على حسب الترتيب الآتي: حجر النوبة الرملي ثم الحوَّارى ثم الارض الكلسيَّة ذات المحار (calcaire nummulitique) ثم طبقات الارض الصدفية العليا المدعوَّة بليوسان (pliocène) ووجهة كلّ هذه الطبقات فيما يظهر من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي بمالة الى الشمال الشرقي على خطوط افقيَّة ومجمل هذه المشارف ترتفع فوق سطح النيل ارتفاعاً يختلف بين ٢٠٠ و ٣٠٠ متر لا يتخلَّلها وادٍ عميق كما لا يعلوها جبلٌ ذو رِعان وانَّما ترى في فسحتها بطاحاً وغيطاناً من جرّاء السيول الجارفة وهي اليوم واحات خصبة غنَّاء .

امَّا انحاء الجبل الشرقيّ المعروف بالعربيّ فيحدُّهُ عند بحر القلزم جبال عالية متواصلة بالغة الارتفاع متركبة من صخور متبلورة تتوغَّل في وسط الصحارى . وربَّما بلغ ارتفاع هذا الجبل الفين متر وهو يقوم بازاء جبل سينا شرقاً . امَّا من جهة الغرب فيتَّصل بهذا الجبل نضائد من التربة تتَّجهُ الى انحاء شتَّى غير معلومة . فاذا بحثت عن طبيعة الصخور التي عند السلسلة الطرفية وفي منعطفها وجدت الحجر الصوَّان الحبَّب . واذا سرت من الجنوب الى الشمال عثرت على حجر النوبة الرملي ثم على طبقات من الحوَّارى والجص يليها صخور كلسيَّة محاريَّة تمتدّ الى النيل . ولهذه السلسلة الجبليَّة الشرقيَّة مرأى عجيب لما يتخلَّلها من الاودية العميقة الغور وما يشرف عليها من الصخور المسنَّنة المرتفعة ذات الصور الغريبة

وفي اقصى جنوب هذا الجبل طودٌ محدَّب الظهر محدَّدهُ يجري من الشرق الى الغرب وهو يتكوَّن من الصوَّان المحبَّب الجميل تراهُ يعترضُ للنيل ويحجزُ سيرهُ فاضطرَّ النهر ان يفتح لهُ مجازاً ويندفع في سيرهِ في وسط مضيقٍ يقطعهُ بعناء .

وخلاصة القول انَّ مصر في قسمها الاوسط تتركَّب عند ضفَّتي النيل من عناصر كلسيَّة ويتركَّب الصعيد من الحجر الرملي . امَّا سلسلة بحر القلزم والسلسلة المرتفعة عموديًّا فوق الوادي عند اسوان فصخورها متبلورة . وفي كل هذه الامكنة قد حفر الاقدمون مقالع اختلفت مواقعها باختلاف الدول فاستثمروها لابنيتهم العظمى . امَّا المناجم

المدنيَّة فكأنَّها حُفرت في غابر الازمان في السلسلة العظمى الطرفية وهي اليوم مهملة منسيَّة

١ المقالع

هي امَّا قديمة وامَّا حديثة

١ً المقالع القديمة

منها مصريَّة ومنها يونانية ورومانية

١ً المقالع المصريَّة القديمة

انَّ العامَّة من قدماء المصريين كانوا يقتصرون في بناء مساكنهم على سوف القصب او سعف النَّخل مسيَّعًا بالطين كما يفعل الفلَّاحون في عهدنا. وربَّما اتَّخذوا لابنيتهم اللبن المجفَّف في الشمس. وكان استعمال اللبن شائعًا في الدول المصريَّة الاولى حتى انَّ الملوك كانوا يشيّدون قصورهم به لا يتَّخذون الحجارة الَّا للابواب. وممَّا يُقضى به العجب انَّ كثيرًا من هذه الابنية صبرت على مرّ الدهور وترى حتى الآن بين اخربة منف بيوتًا قائمة على دعائمها (١). الَّا انَّ الغالب على هذه البنايات القديمة انَّ قسمها الاسفل كان يُبنى بحجارة تُقتلع من الربوة المجاورة لها فتُصفّ صفًّا بسيطًا وتُرصف بلا ملاط امَّا الطبقات العليا فهي كلُّها من اللبن

وفي بادئ الامر كان اهل المدن والقرى يدافعون عن نفوسهم باسوار من الآجرّ يقيمونها حول البلاد ليردُّوا غارات البدو ويكسروا شوكة الغزاة. ولنا مثال عن هذه الاسوار في بقايا جدران قلعة ابيدوس التي يبلغ علوُّها مترًا وسمكها مترين عند اعلاها

وقد استفادت مصر فائدة كبرى في فنّ التحصين ابَّان الحروب التي اصلى نارها تحوتمس الثالث من فراعنة الدولة الثامنة عشرة وفي ايَّام خلفه امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع حيث بقيت المواصلات جارية بين مصر وسوريَّة. ولمَّا رأى المصريون المدن الكنعانيَّة والحثيَّة كقتلان ودابور ومَروم محدقة باسوار متينة من نحيت الحجر محصَّنة بابراج منيعة انتسوا بآثارها واقاموا على طرازها في وادي النيل بعد ان تحقَّقوا

(١) راجع Maspéro: *Archéologie Égyptienne*, passim

بانفسهم حُسن مفعولها وسمّوا هذه الصروح باسمها السامي « مجادلو » اشتقاقاً من « الجدل » وهو الحصن

ومذ ذاك الحين أُهملت الاسوار المبنيّة باللبن لعدم وفائها بالحاجة فترى حينئذٍ اسوار مدينة عين شمس (هليوبوليس) ومدينة منف مُلبسةً بالحجارة . على انّ آثار تلك القرون الغابرة النبئة بطرائق المصريّين في التحصين عزيزة جدًّا وكنّا اضطُررنا لمعرفة حقيقتها الى الاستعانة بالتصاوير القديمة لولا انّ رعمسيس الثالث شيَّد لهُ في مدينة هبو في ثية مدفنًا جعلهُ على صورة حصن لا يختلف عنهُ ذرَّةً فترى لهُ فصيلاً يمنع الاقتراب منهُ ثمّ دكَّةً مربعة حريزة يليها دار داخلية ثم سورًا ذا شرفات علوهُ ٢٢ مترًا معززًا في اسفله بدعائم منحطة تعلو نحو خمسة امتار

واوّل بناية مدنيَّة تُعرف عمَّرها القدماء بالحجارة هي سَدّ قُشَيش شادهُ مينس اوّل ملوك مصر المعروفين ليحوّل الى جهة الشرق اكبر شُعَب النيل ويجفّف المكان الذي بنى فيهِ مدينة منف

ولكن اذا كان استعمال الحجر في الابنية المدنيَّة ودور الخاصَّة قليلاً في ذلك الوقت ترى بخلاف الامر كلّ الابنية الدينية كالهياكل والمدافن مبنيَّة في الغالب بالحجارة . قال العلّامة مسبرو (١) : « انّ غاية ما كان يرغبهُ الفراعنة ان يشيّدوا لآلهتهم مساكن مخلّدةً ولم يجدوا شيئًا اصلب من الحجر يقوى على غارات البشر وقوارع الدهر » وكذلك كان المصريون يعتبرون مدافنهم كبيوت مخلّدة تأوي اليها النفوس بعد تردُّدها حينًا بعد حين مع الآلهة فتجد عند اجسامها الراحة مع السكينة

ومن ثم ترى المصريين افرغوا جهدهم في ابتناء هياكلهم ومدافنهم بالحجارة وقد فاقوا بذلك سكان المعمور باسرهم

مواقع المقالع المصريَّة

ما كان الفراعنة يجلسون على منصَّة الملك حتى كانوا من وقتهم يقومون ويقعدون مهتمّين بامر مدافنهم العظيمة وما ادراك ما مدافنهم انّما هي الاهرام كانوا يستخدمون لبنائها الوفًا بل ربوات من الاسرى والعبيد وجمهور عَمَلةٍ من رعاياهم

(١ op.cit., p. 45

ألا انَّ عدد العُمَّال لا يكفي لتشييد هذه العمائر الفخيمة فكان لا بُدَّ لها من زمن مديد وسنين طوال لتتمّها على انَّ الفراعنة ادركوا ما في هذا الامر من المنغّصات وكان جلّ غايتهم ان يروا باعينهم ما همُّوا ببنائهِ لاسيَّما انَّ اكثرهم لم يضبطوا عنان الملك الَّا زمناً يسيرًا. وقلَّ من تجاوز بينهم الثلاثين سنة في الملك. ومن ثم كان المهندسون في الغالب يطلبون لآثارهم مقالع قريبة من الأبنية المنويّ عملها

ولمَّا كان نقل الحجارة يقتضي زمناً طويلًا ونفقـات باهظة كان المتولّون على هذه الابنية يختارون لهم مقالع قريبة. فترى مثلًا دُمية ابي الهول قد نُحت معظمها في نفس الصخرة التي أُقيم عليها. وكذا الاهرام الكبرى واكثر هياكل منف قد استُخرجت موادها من مقالع الحجر الكلسيّ الواقعة في مصارة وطرَّة على عطف الجبل في عبر الوادي. وكذلك كثير من ابنية ثيبة (الاقصر) قد شُيدت بالحجارة الرمليَّة المجاورة لها

هذا وما اكتفى المهندسون او الفراعنة بما لديهم من الموادّ العاديَّة ولكن ربَّما ارادوا ان يتأنقوا في ابنيتهم فحينئذٍ كنت تراهم لا يألون جهـدهم في استجلاب المدّات الغالية الثمن الفخيمة الموادّ فينقلون من بعيد ما يرونهُ انسب للغاية التي يتوخّونها ولو كلَّفهم ذلك عرق القربة. وكانوا اذا ارادوا نقر قبر يودعونهُ جثة الملك او موميا بقرتهم المقدَّسة المعروفة باسم «ابيس» او اذا رغبوا في اقامة تمثـال فخيم لاحد الفراعنة او حاولوا نحت البرابي التي يسترون بهـا مستودع النواويس فكانوا يبحثون عن ضروب الحجارة الصمَّاء العظيمة القدر الرفيعة الشأن كالحجارة الرمليَّة الناعمة والصوَّان المحبَّب والحجر البركاني الاسود (basalte) وان لم يجدوها الَّا في بلاد سحيقة تبعد مئات من الاميال قدموا بها بعد اللتيَّا والتي واستخدموها لاعمالهم الشريفة. مثال ذلك التمثالان المعروفان بتمثالي ممنون في ثيبة فانَّ حجرهما مقطوع من الجبل الاحمر قريباً من موقع القاهرة في يومنا ومن ثمَّ نُقل الى ثيبة. وهذا الحجر عبارة عن مركَّب من الحجر الرمليّ والكوارتز لونهُ بين السمرة والصفرة يصلح للنقش المحكم. وكان الملـك اذا طلب شيئاً من هذه الحجارة العزيزة اوفد رجلًا من خواصّهِ ليرتادها لهُ فاذا اصابهـا واسرع في نقلها حظي عند الفرعون وعظم مقامهُ لديهِ (١

١) راجع كتاب العلامة مسپرو (ص ١٢٦)

فالمصريون اذا كان يتنازعهم في ابنيتهم عاملان احدهما اقتصاد الوقت وسرعة العمل والآخر احكام المباني المقصودة. ونرى فيما بقي الى يومنا من آثارهم كالمصاطب اي مدافن منف وابي روش في داشور ما يدلُّ على ترقيهم في حسن العمل والمبالغة في المصاريف. واكثر هذه الآثار اتقانًا مبنيٌّ بحجر طرَّة الكلسي نُقل من مسافة نحو ١٥ كلو مترًا امَّا النواويس فمن الصوَّان المحبَّب المانع الموجود في اسوان على مسافة ٩٣٦ كيلو مترًا من منف. ومن هذه الآثار ما هو متوسط في الحسن والمبالغ وحجرهُ كلسيٌّ رملي من حجر سقَّارة على مسافة بضع مئات من الامتار. اما اقل هذه المباني احكامًا ونفقةً فحجرهُ من حوالى الجبل الغربي ومقالعهُ عديدة لكنهُ لا يسهل نقشهُ

وان سأل السائل عن موقع هذه المقالع التي استُخرجت منها حجارة ابنية مصر اشرنا اليها مباشرةً من الشمال الى الجنوب:

اعلم ان على مقربة من القاهرة حالًا شمالي شرقي منف القديمة كانت مقالع قصارة وطرَّة وكان المصريون يدعونها « روبو » و « طرويو » وصحَّف اليونان اسم « طرويو » هذه وزعموا انها هي طروية (Troja) وان المحلة الواقعة بقربها كانت مستعمرةً احتلَّها أسرى من اليونان كانوا مع مينيلاس لمَّا قدم مصر فاستوطنوها ودعوها باسم مدينة طروية وطنهم

والحجر المقتلع من هذه المقالع كلسيٌّ ابيض ضارب الى الصفرة وهو جميلٌ يتركب من الوف من المحار الصغير الذي يُرى كثير منهُ بمجرَّد العين تراهُ على هيئة كرويَّة كأنهُ العدس ومن خرافات اهل البادية انهُ من بقايا العدس الذي كان يأكلهُ الفعلة بناة الاهرام. وهذا الحجر سهل النحت قابل لحفر النقَّاشين وهو يتصلَّب في الهواء ويكتسي بسحةٍ من الإنجار لهُ عند غياب الشمس رونقٌ بهي تقرُّ لهُ العين

وان سرتَ جنوبًا من حلوان على بعد سبعة كيلو مترات منها ادَّى بك السير الى وادي جرّاوي حيث تجد مقالع شهيرة من الرخام الابيض المتبلور أُخذت منهُ حجارة اهرام الجيزة الضخمة

وممَّا اكتشفهُ العلامة نيوبري (Newberry) مقالع هتنوب وجدها على علوّ مدينة اسيوط. وهذه المقالع استثمرها فراعنة المملكة الاولى من سنة ٣٥٠٠ قبل المسيح الى ٢٢٠٠ ثم في مبادئ المملكة الحديثة من سنة ١٦٠٠ الى ٩٥٠ ق م وهذا الرخام